وزارة الثقافة



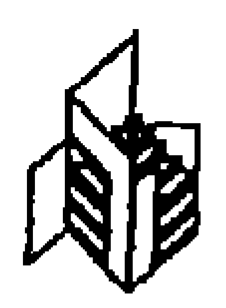
الهيئة العامة لقصور الثقافة
THE GENERAL ORGANIZATION OF CULTURE PALACES

الحركات الإسلامية بعد الثورة المصرية

عبد المنعم منيب

الحركات الإسلامية
بعد الثورة المصرية

عبد المنعم منيب



الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة
سعد عبد الرحمن

أمين عام النشر
محمد أبو المجد

الإشراف العام
صبحي موسى

الإشراف الفني
د. خالد سرور

المتابعة والتنفيذ
عادل سميح

- الحركات الإسلامية بعد الثورة المصرية
- عبد المنعم منيب
- تصميم الغلاف:

عماد عبد الغني

الطبعة الأولى ٢٠١٢
الهيئة العامة لقصور الثقافة

- رقم الإيداع: ٢٦٠٠١/ ٢٠١٢
- الترقيم الدولي: 978-977-216-036-5

التجهيزات والطباعة:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

الحركات الإسلامية
بعد الثورة المصرية

3

بسم الله الرحمن الرحيم

كتبت كثيرا عن خريطة الحركات الإسلامية فى مصر قبل الثورة[١] لكن هناك تطورات كثيرة طرأت على الحركات الإسلامية المصرية نتيجة للثورة، ورغم ذلك فإن ما كتبته ما زال يمثل قاعدة معلومات أساسية وموثوقة عن الحركات الإسلامية المصرية كافة[٢] لأن التطورات التى حدثت لها بعد الثورة المصرية بمثابة بناء جديد تم تشييده على نفس أسس المبانى القديمة، صحيح أن المبانى الجديدة اتسمت بخصائص جديدة لدرجة الغرابة أحيانا لكنها رغم ذلك ليس لها أى قواعد ترتكن إليها إلا تلك التى بيناها فى كتاباتنا المتعددة قبل الثورة، نعم هذه التطورات الجديدة جديرة بالرصد الدقيق والتأمل العميق وهذا ما حاولته فى هذا الكتيب، لكن باختصار يتناسب مع الحجم المتاح لهذه السلسلة التى تصدر بمبادرة مشكورة من إدارة النشر بهيئة قصور الثقافة.

ولقد اتبعت المنهج التاريخى الوصفى فى هذا الكتاب ولكنى لم أكتب مصادر المعلومات التى أوردتها بناء على طلب الرواة الذين

اعتمدت عليهم فى جمع المادة العلمية ؛ لأن هذه المادة تم جمعها فى زمن القمع قبل الثورة المصرية بل بعضها تم جمعه فى السجن ونحن تحت وطأة سياط الجلادين، فكان الشرط الذى اشترطه كل الرواة تقريبا عدم ذكر أسمائهم حفاظا عليهم من التعرض لأى مشكلات مع أجهزة الأمن التى كانت تجعل النشاط فى إطار حركة إسلامية ضربا من المحرمات، وقد اتبعت هذا الأسلوب فى تسجيل تاريخ الحركات الإسلامية المصرية لإيماني العميق بأنه السبيل الوحيد لتحقيق هذا الهدف لأنه مما يثير العجب أن أغلب من يكتبون عن الحركة الإسلامية لا يكلفون أنفسهم عناء جمع معلومات كافية وموثوقة عن الجماعات الإسلامية المختلفة، بل إن بعضهم لا يعتمد على معلومات أصلا اللهم إلا القليل مما استقاه من مصادر أمنية (وهي لها أغراضها التى لا شك تتنافى مع الصدق والموضوعية) ثم يكملها بحكايات من نسج خياله، وبذا فما يكتب يبعث على الضحك من فرط خياله وبعده عن الحقائق، لدرجة أن طال التخيل والروايات الأمنية حتى أسماء الجماعات وأفكارها الأساسية(٣).

عبد المنعم منيب

الهوامش

(١) صدر لى كتابان هما "خريطة الحركات الإسلامية المصرية" عام ٢٠٠٩، و"دليل الحركات الإسلامية المصرية" عام ٢٠١٠. كما كتبت كثيرا عن هذا الموضوع خاصة في جريدة الدستور المصرية (الدستور الأصلى).

(٢) والغريب أن عددا من الكتاب الذين يكتبون عن الحركات الإسلامية دأبوا على النقل نصا من كتاباتى دون الإشارة للمصدر.

(٣) لقد اطلعت على عدد من الكتابات الأوروبية والأمريكية ألفها مستشرقون عن الحركة الإسلامية المصرية فوجدت فيها أوهاما كثيرة، وعلى سبيل المثال فلقد وجدت كاتبا أمريكيا اعتمد في حصر أسماء الحركات الإسلامية المصرية (والعربية أيضا) على ما تنشره وسائل الإعلام المحلية عن هذه الجماعات ولم يدرك بحكم محدودية معرفته بالحركات الإسلامية أن معظم ما تنشره وسائل الإعلام العربية هو موجه من أجهزة الأمن وفيه الكثير والكثير من الخرافات والأوهام بشأن الحركات الإسلامية بما في ذلك أسماء هذه الجماعات، بل إن هذه الأجهزة دأبت على الترويج لجماعات إسلامية وهمية أى غير موجودة أصلا. ولا شك أن أجواء الحرية بعد الثورة سوف تزيل هذه الأوضاع بالتدريج لكن هذا سوف يستغرق وقتا.

التمهيد

مفهوم الحركة الإسلامية وسبب نشأتها

اختلف الباحثون حول أسباب ظهور الحركة الإسلامية في العصر الحديث، واعتبرها كثيرون ظاهرة جديدة صاحبت انتقال العالم الإسلامي إلى العصر الحديث، وأرجعوها إلى ما اعتبروه حالة اغتراب تعرض لها الكثير من شباب المسلمين بسبب تسارع عجلة التحولات الاجتماعية والثقافية، تلك التحولات التي اقتبست على نطاق واسع من إشعاع الحضارة الغربية المعاصرة بدرجة اعتبرها البعض صداما مع عقيدة الإسلام التي هي ثقافة الأمة العربية.

كما اعتبر باحثون آخرون أن ظهور الحركة الإسلامية صاحَب هزيمة العرب أمام إسرائيل في ٥ يونيو ١٩٦٧م كردٍّ فعل لفشل القومية العربية في مواجهة إسرائيل وكبديل لهذه القومية.

وهناك فريق ثالث من الباحثين رأى أن ظهور الحركة الإسلامية هو رد فعل لسقوط نظام الخلافة الإسلامية الذى تمثل فى إلغاء كمال الدين أتاتورك للخلافة العثمانية وإقامة جمهورية علمانية على أنقاضها في تركيا.

ولكننا نرى أن كل هذه التفسيرات غير صحيحة، وذلك لأن الحركة الإسلامية في جوهرها ما هى إلا عمل سياسى واجتماعى إسلامى فى الفضاء العام يهدف لإحداث تأثيرات إسلامية سياسية واجتماعية وثقافية ودينية فى ذلك الفضاء العام عبر عمل عام له صور وأساليب شتى، وما دام هذا هو جوهر الحركة الإسلامية المعاصرة، فلا شك أنها ليست أمرا جديدا بل هو قديم قدم الرسالة الإسلامية المحمدية نفسها.

فمنذ بدأ الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم فى الدعوة للإسلام وهو يسعى لإحداث تغيرات دينية وثقافية واجتماعية وسياسية فى الفضاء العام الذى تحرك فيه، وكلل ذلك كله بتأسيس دولة إسلامية وحدت شبه الجزيرة العربية لأول مرة فى تاريخها فى دولة واحدة وكانت السلطة السياسية والاجتماعية العليا فيها للنبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم نفسه، وسار خلفاؤه الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن بن على (رضى الله عنهم أجمعين) على نفس المنوال،

ثم جاء حكم معاوية بن أبى سفيان (رضى الله عنه) ليبدأ معه التغيير فى هذا النمط الإسلامى فى الحكم، وعندئذ فقط بدأ ظهور الحركات الإسلامية التى تسعى للتأثير فى الواقع السياسى فنشط بعد معاوية (رضى الله عنه) "شيعة أهل البيت" وتحركوا ضد خليفته بما فى ذلك الحركة الانقلابية المسلحة التى قادها الحسين بن على (رضى الله عنه) وانتهت بمقتله، كما ظهرت حركة "الزبيريين" بقيادة عبد الله ابن الزبير (رضى الله عنهما) والتى انتهت بمقتله، وكل هذه الحركات مجرد مثال لحركات إسلامية متعددة نشأت واستمرت عبر التاريخ الإسلامى الطويل وسعت لإحداث تغيير سياسى أو اجتماعى أو ثقافى أو اقتصادى أو كل ذلك معا وبعضها أقام دولا مثل الخوارج والشيعة والصفاريين وغيرهم وأكثرها فشل فى تغيير الوضع السياسى القائم(٤).

والشاهد من ذلك كله أن الحركات الإسلامية هى إفراز طبيعى لانفصال الدين عن السياسة بدرجة أو أخرى عبر التاريخ الإسلامى والذى بدأ بالتدريج وببطء منذ عهد معاوية ابن أبى سفيان (رضى الله عنه)، خاصة فى نهاية عهده عندما وَرَّثَ الحكم لابنه يزيد. لقد نشأت الحركات الإسلامية من أجل مكافحة الانحراف عن نظام وأهداف ومقاصد ونمط الحكم

الإسلامى الذى أرساه النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وخلفاؤه الراشدون، فهذا هو دافع وهدف هذه الحركات التى نشأت منذئذ وحتى الآن.

وبالتالى فالحركة الإسلامية ليست جديدة بل هى ترجع للقرن الأول الهجرى كما أشرنا.

وحتى فى العصر الحديث عندما نشأت جماعات منظمة خارج المؤسسات الدينية التقليدية فإنها انبثقت منها كنتيجة لتكبيل هذه المؤسسات التقليدية من قبل الحكام، فمؤسس أول جماعة إسلامية منظمة فى مصر (وهى "الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة") الشيخ محمود خطاب السبكى كان أحد علماء الأزهر الشريف وكان من أشهر تلاميذ الشيخ محمد عليش شيخ المالكية بالأزهر الشريف الذى قيل إن الإنجليز قد قتلوه فى المستشفى إثر احتلالهم مصر بسبب مساندته للثورة العرابية ومعارضته للاحتلال الإنجليزى، وكان تأسيس "الجمعية الشرعية" وبداية عملها بدأب ونشاط قد انطلق فى نهايات القرن الـ ١٩ الميلادى.

وهكذا نرى أن ظهور الجماعات الإسلامية فى مصر مرتبط بانحسار دور مؤسسة الأزهر -الذى كان يشبه جماعة إسلامية كبيرة- وتزايد سيطرة الحاكم عليه وليس مرتبطا بسقوط

الخلافة الإسلامية ولا بهزيمة يونيو ١٩٦٧م، نعم يمكن القول بأن سقوط الخلافة أو هزيمة يونيو ألهب كل منهما حماس المزيد من الشباب ودفعهم لنشاط متزايد فى إطار الحركات الإسلامية المختلفة ولكن لا يمكن القول بأن الحركات الإسلامية لم تنشأ إلا بسبب هذه العوامل لسبب بسيط جدا هو أن ذلك لم يحدث.

أقسام الحركة الإسلامية المصرية المعاصرة

يكاد يتفق كل من كتب عن الحركة الإسلامية المعاصرة على أن الحركة الإسلامية هى نهر عام تنبثق منه روافد عديدة، أو هى حركة عامة تتكون من فصائل أو تيارات متعددة ومختلفة.

لكن اختلف الباحثون حول الأقسام التى تندرج تحتها الجماعات والتيارات والفصائل التى تتكون منها الحركة الإسلامية المعاصرة.

ولا يتسع المقام هنا للخوض فى مثل هذه التفاصيل(٥).

ويلاحظ أن بعض أسماء هذه الفصائل والتيارات هى أسماء حقيقية اختارها مؤسسو الفصيل أو التيار لأنفسهم مثل "الجمعية الشرعية للعاملين بالكتاب والسنة"، لكن العديد من التيارات الإسلامية لا تهتم بأن تتسمى باسم محدد بل تعمل دون أن تطلق على نفسها اسما، ويلاحظ أن المتعاملين معها قد

يطلقون عليها اسما غير دقيق أو ملتبس مع اسم جماعة أو جماعات أخرى، وفى حالة لم يطلق فصيل ما على نفسه اسما محددا فإننا هنا حددنا اسما يمثل وصفا دقيقا لحالته ومواقفه الفكرية والسياسية مثلما فعلنا مع كل من "السلفية الحركية" و"السلفية التقليدية" ، كما توجد حالة أن فصيل ما قد يطلق على نفسه اسما ملتبسا مع العديد من الفصائل الأخرى كما هو الحال فى "الدعوة السلفية" ومن على شاكلتهم من السلفيين فأطلقنا عليهم جميعا اسم "السلفية العلمية" ، وذلك كله يرجع إلى أن أكثر الجماعات الإسلامية لم تكن تهتم بمسألة التميز باسم معين ولا شعار معين قبل الثورة المصرية.

وعلى كل حال فقد سقنا الجماعات فى الكتاب بشكل متسلسل دون ترتيب معين اللهم إلا أننا خصصنا فقرة لكل جماعة وجعلنا ذلك فى الفصل الثانى بينما خصصنا الفصل الأول للكلام عن كل من مؤسسة الأزهر والطرق الصوفية بسبب علاقتهما بشكل أو بآخر بالحركات الإسلامية.

الهوامش

(٤) ولا نقصد بذلك أنه من المحتم أن تكون الحركة الإسلامية المعاصرة تشبه هذه الحركات عقائديا وإنما وجه الشبه فى أنها واجهت النظام الحاكم وسعت لتغيير الواقع السياسى والاجتماعى والاقتصادى بشكل أو بآخر.

(٥) قد تعرضنا لهذه الأمور بالتفصيل فى كتاباتنا الأخرى فمن أراد التوسع يمكنه الرجوع إليها إذا شاء.

الفصل الأول:
الواقع الإسلامى التقليدى

الأزهر الشريف

ظل الأزهر الشريف قلعة الإسلام عبر العصور، ولقد كان الجامع الأزهر فى مصر هو الذى يمثل الدعوة الإسلامية والعمل السياسى الإسلامى المستقل عن الحكام فى عصر المماليك والعثمانيين وحتى بداية عصر "محمد على" وفى عهده بدأ تقييد حركة الأزهر وتجريده من نفوذه السياسى على مراحل عدة انتهت لما هو عليه الآن.

ومن هنا بدأ بعض علماء الأزهر فى التفكير فى التحرك بعيدا عن القيود التى طوقت الجامع الأزهر، ومن ثم ظهرت الحركة الإسلامية بفصائلها المختلفة، ومنذئذ ظل الأزهر يخرج للحركات الإسلامية أو لكثير من الحركات الإسلامية كوادر إسلامية على مستوى عال جدا ومتميز من العلم فى العلوم الشرعية، وسوف يظهر فى صفحات هذا الكتاب الدور المهم الذى لا يزال يلعبه الأزهر فى عدد من كبرى الحركات الإسلامية المعاصرة.

ورغم أن الحركات الإسلامية المختلفة أخذت فى منازعة الأزهر فى دوره كمرجعية وحيدة فى مجال العلوم الشرعية والفتوى، فإنها لم تنجح فى إلغاء دور الأزهر كمرجعية للمسلمين السنة بشكل كامل، لقد نجحت فقط في هز هذه المكانة وذلك الدور ومشاركته فيها دون أن تزيحه منها إزاحة كاملة.

ولا يرجع نجاح الحركة الإسلامية فى تحقيق هذا القدر من الدور والمكانة المرجعية إلى قوة وفاعلية الحركة الإسلامية بقدر ما يرجع ذلك إلى تراجع القوة الذاتية للأزهر نتيجة للحصار الذى فرضته السلطة الحاكمة عليه بدءا من عصر محمد على باشا وذريته وانتهاء بالجهود التى قام بها جمال عبد الناصر بعد ثورة يوليو ١٩٥٢م.

فالأزهر الذى يعد أهم مؤسسة إسلامية على الإطلاق فى مصر والعالم الإسلامى كان لجمال عبد الناصر معه نهج ممكن أن نعتبره استمرارا للنهج الثابت الذى بدأ الحكام فى مصر ينهجونه منذ نابليون بونابرت وحتى الآن وهو نهج الاحتواء والسيطرة تحت ستار التطوير والتجديد، وفى هذا الإطار نتذكر ما فعله محمد على ومن بعده خلفاؤه مع الأزهر الشريف.

فالحكام منذ نابليون حتى الآن حرصوا على منع الأزهر من العمل السياسى، كما حرصوا فى نفس الوقت على توظيف

الإسلام وعلماء الإسلام لتحقيق أهداف الحاكم السياسية كلما أمكن ذلك.

ولم يشذ جمال عبد الناصر عن ذلك النهج فاتخذ العديد من الخطوات للسيطرة على الأزهر وتوظيفه لصالح أهداف نظام ثورة يوليو ١٩٥٢م.

ولكن كيف وظف جمال عبد الناصر الأزهر لتحقيق أهدافه هذه؟

تضمن المرسوم بقانون رقم ١٨٠ لعام ١٩٥٢م أى فى أول خمسة شهور من حكم الثورة إلغاء الوقف الأهلى، كما كانت هناك إجراءات صحبت ذلك كله وأخرى تتابعت فى السنوات التالية أدت فيما أدت إلى وضع الدولة يدها بشكل كامل على الأوقاف عبر وزارة الأوقاف التى سلمت هذه الأوقاف بشكل أو بآخر إلى الهيئة العامة للإصلاح الزراعى، حتى أن الهيئة تسلمت ١٣٧ ألف فدان من أراضى الأوقاف بسعر ١٧,٥ مثلا لضريبة الأطيان المربوطة عليها أى أن قيمة الفدان بلغت خمسين جنيها فى حين زادت قيمته الحقيقية بسعر السوق فى ذلك الحين على ألف جنيه، ولذلك عجزت وزارة الأوقاف عن تأدية رسالتها لأن هذه الأراضى كانت تدر على الأزهر فى السنة الواحدة ٨ ملايين جنيه وبتطبيق هذه القوانين انخفضت الإيرادات إلى ٨٠٠ ألف جنيه إذ أن الريع تم تحديده بـ٣٪ و٤٪

من قيمة سندات سلمت لها كبديل للأرض، ورغم ذلك امتنعت الهيئة العامة للإصلاح الزراعى عن سداد الريع المستحق الأمر الذى جعلها مدينة لوزارة الأوقاف بمبالغ مالية هائلة، هذا فضلا عن تبديد الهيئة لأغلب هذه الأوقاف لا سيما أوقاف الخيرات الموقوفة على المساجد، وبهذا ضربت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م الركيزة الاقتصادية لعلماء الأزهر؛ تلك الركيزة التى كانت تجعلهم فى غنى عن أموال الحكومة، الأمر الذى كان يكفل لهم الاستقلال عن الحكومة ويتيح لهم معارضتها دون الخوف من قطع مرتباتهم أو تشريد أسرهم من بعدهم.

وفى حين عوملت أوقاف المسلمين هذه المعاملة استثنيت أوقاف غير المسلمين من أحكام هذه القوانين حيث وضعت لها قوانين خاصة وتركت لكل كنيسة أوقافها فى حدود مائتى فدان وما زاد عن هذا كانت الدولة تأخذه وتدفع ثمنه بسعر السوق وهو ما أدى فى أواخر السبعينات إلى مناداة عدد من الأصوات فى مجلس الشعب بمساواة أوقاف المسلمين بأوقاف المسيحيين.

ثم كان إلغاء المحاكم الشرعية خطوة بارزة قامت بها ثورة يوليو لتقليص دور مؤسسة الأزهر فى الحياة العملية للمصريين

خارج توجيه الحكومة ؛ إذ أن ممارسة هذه المحاكم الشرعية لنشاطها كانت تتمتع بقدر كبير من الاستقلالية عن الحكومة خاصة في مجال المنطلقات الأيديولوجية، وعبد الناصر وثورة يوليو كانا يهدفان لتأميم الدين لصالح نظام الحكم، فكان لزاما القضاء على هذه المحاكم التي كان يستحيل تأميمها لصالح النظام الحاكم، وكانت ثورة يوليو واعية بذلك منذ البداية إذ ألغيت هذه المحاكم بقانون رقم ٤٦٢ لعام ١٩٥٥م، وبذا بدأت هيمنة ثورة ٢٣ يوليو على القوة الإسلامية الأكبر في مصر وفي العالم الإسلامي وهي الأزهر الشريف وعلماؤه، حيث شكل إلغاء المحاكم الشرعية تحديا لنظام الشريعة الإسلامية نفسه في دولة إسلامية يعلن دستورها أن دينها الرسمي هو الإسلام.

وبإلغاء المحاكم الشرعية وبالهيمنة على إدارة الأوقاف نجح الرئيس جمال عبد الناصر فيما فشل فيه الاحتلال الغربي من الهيمنة على أبرز مؤسسة لعلماء الإسلام في العالم كله.

وبعد أن هيمن عبد الناصر على الأزهر وموارده الاقتصادية كان عليه أن يكرس هذه الهيمنة بقانون رسمي محدد المعالم فتم إصدار قانون تنظيم الأزهر (١٠٣ لسنة ١٩٦١م).

وكي يتضح المدى الذى كبلت به الحكومة مؤسسة الأزهر لا بد أن نعود لأحداث جلسة مجلس الأمة (البرلمان) التي أقرت قانون تنظيم الأزهر، يقول فتحي رضوان: "لإجبار المجلس على الموافقة حضر رجال الثورة وجلسوا أمامنا على المنصة، وتحديدا كان على المنصة أنور السادات وكمال حسين وكمال رفعت، وهدد أنور السادات المجلس عندما علت أصوات تعارض مشروع القانون قائلا: كانت ثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢م والذين حاولوا الوقوف أمامها ديسوا بالأقدام واليوم ثورة جديدة وسيصاب الذين يقفون أمامها بنفس المصير".

ووفقا للوثائق الرسمية فإنه تغيب عن جلسة إقرار القانون بمجلس الأمة ١٧٩ عضوا أى ما يعادل ٤٩٪ من إجمالي أعضاء المجلس، ووفقا لنفس الوثائق الرسمية فإنه لم يعترض من الأعضاء الحاضرين سوى النائب صلاح سعدة، بينما ذكر فتحي رضوان أن أكثر من نصف الحاضرين عارضوا القانون.

وهذا القانون وإن كان أعاد تنظيم الأزهر فعلا وقسمه إلى هيكل تنظيمي جديد لكنه ربط هذا التنظيم كله بجهاز الدولة وخاصة رئاسة الجمهورية بشكل مباشر، فشيخ الأزهر ووكيل الأزهر ورئيس جامعة الأزهر يعينهم رئيس الجمهورية، كما أن كافة أجهزة الأزهر الرئيسية كالمجلس الأعلى للأزهر وجامعة

الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية ينفرد رئيس الجمهورية بتعيين القيادات العليا فيها، فمجمع البحوث يرأسه شيخ الأزهر وأعضاء المجمع يعينهم رئيس الجمهورية، أما جامعة الأزهر فبالإضافة لانفراد رئيس الجمهورية بتعيين رئيس جامعة الأزهر فعمداء الكليات يعينهم أيضا رئيس الجمهورية، وبصفة عامة فالهيكل العام الإدارى والمالى للأزهر أصبح وفقا لقانون تنظيم الأزهر جزءا من الهيكل المالى والإدارى للحكومة (أى السلطة التنفيذية).

وبعد كل هذا فكيف للأزهر أن يعصي لرئيس الجمهورية أمرا فضلا عن أن يعارضه؟

ولكن ما النتيجة العملية لهيمنة نظام ثورة يوليو على الأزهر؟

النتيجة أن الأزهر لم تصدر من داخله أى مواقف أو تصريحات تعارض النظام الحاكم لا من قريب ولا بعيد، بل بالعكس وقف إلى جانب جمال عبد الناصر فى كل مواقفه.

واستمر الأزهر على هذا النهج مع خلفاء جمال عبد الناصر الرئيسين أنور السادات وحسنى مبارك، وقد أدى ذلك كله لإضعاف مكانة الأزهر فى نفوس المسلمين وبالتالى تدهور دوره ومكانته كمرجعية عليا للدعوة الإسلامية والإفتاء لكل

المسلمين، وبدأ الكثير من المسلمين يضعون ثقتهم فى العديد من الناشطين الذين ينتمون للحركات الإسلامية والذين يطلق عليهم الدعاة.

وأطلقت دعوات كثيرة بعد الثورة المصرية لتطوير الأزهر وإعادته لمكانته ودوره التاريخى لكن لم يتم تبنى أى منها بشكل جدى حتى كتابة هذه السطور.

الطرق الصوفية

لا بد أن نشير إلى جانب آخر من التحرك الإسلامي وهذا الجانب عاصر الأزهر وتداخل معه وتمثل فى الطرق الصوفية، ولقد مرت الطرق الصوفية بتطورات شبيهة بما مر به الأزهر وانتهت إلى ما انتهى إليه من سيطرة الحاكم عليه.

فالطرق الصوفية التى كانت تمثل مع بداية ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م نحو ٣ ملايين منتسب ينتظمون فى ٦٠ طريقة، أيدت جمال عبد الناصر بوضوح فى القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية الداخلية والخارجية من البداية، فعلى سبيل المثال وقفت مشيخة الطرق الصوفية مع عبد الناصر فى صراعه ضد الإخوان وأصدر شيخ مشايخ الطرق الصوفية محمد علوان بيانا فى مولد الرفاعى عام ١٩٦٥م أبرز فيه هذا الموقف، كما أصدر المجلس الأعلى للطرق الصوفية بيانا استنكر فيه ما أسماه المؤامرات الرجعية التى يدبرها الملك فيصل (ملك السعودية) وشاه إيران والملك حسين (ملك الأردن) ورئيس تونس الحبيب بورقيبة[٦]، وكذلك أصدر شيخ

مشايخ الطرق الصوفية بيانا يبرر فيه ويؤيد قرارات عبد الناصر بسحب قوات الطوارئ الدولية من سيناء فى مايو ١٩٦٧م[٧]، وفى ديسمبر ١٩٦٧م سار أكبر موكب صوفى رسمى فى مصر تأييدا لعبد الناصر فى أعقاب هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧م.

وما زالت الطرق الصوفية تسير على هذا النهج حتى الآن من تأييد الحاكم وعدم اتخاذ أى مواقف معارضة له، وعدم تأييد أى قوى معارضة.

وهذا كله أضعف من إقبال الناشطين الإسلاميين عليها، فلا يقبل عليها إلا راغبى الراحة النفسية والبعد عن مشكلات الواقع بكل تعقيداته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومن هنا أقبل الناشطون الإسلاميون على الجماعات الإسلامية المتعددة التى لها مواقف أكثر فاعلية واندماجا مع المجتمع ومشكلاته.

الهوامش

(٦) صحيفة الأهرام ١٢ أبريل ١٩٦٧م.

(٧) صحيفة الأهرام ٢٧ مايو ١٩٦٧م.

الفصل الثانى:
الحركات الإسلامية المصرية

الجمعية الشرعية
لتعاون العاملين بالكتاب والسنة

مؤسس "الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة" هو الشيخ محمود خطاب السبكى (رحمه الله)، وقد أسسها فى تسعينيات القرن ١٩ الميلادى وكان من علماء المذهب المالكى فى الأزهر الشريف، وعندما تم إصدار قانون الجمعيات سجل الشيخ جمعيته وفق هذا القانون عام ١٩١٣م، وظلت تعمل حتى اليوم ولها فروع كثيرة بكل محافظات مصر وعادة ما يقودها علماء من الأزهر الشريف حتى الآن رغم أن من بين دعاتها أشخاصا من خريجى المدارس والجامعات المدنية وهؤلاء يتلقون دورات علمية لمدة سنتين فى معهد إعداد الدعاة التابع للجمعية، قبل أن تعتبرهم الجمعية دعاة وتسمح لهم بالخطابة وإعطاء الدروس فى مقراتها.

و"الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة" لا تمارس السياسة ولا تتكلم فيها ولا تتخذ أى مواقف سياسية.

وأصدرت "الجمعية الشرعية" فى السنوات الأخيرة مجلة باسم "التبيان" وهى تنحو منحى سياسيا بسيطا.

وترى "الجمعية الشرعية" أن مشكلة الأمة الإسلامية تكمن في البدع والخرافات التي دخلت على الدين ومنها العديد من طقوس التصوف، وأنه إذا تم تنقية الدين من هذه البدع فسوف يعود للأمة مجدها وعزها، ومن ثم تركز الجمعية اهتمامها الأكبر في مجال تنقية الدين من البدع والخرافات ومكافحة التبرك والتمسح بالأضرحة أو النذر لها والصلاة فيها.

ولم يبرز للجمعية الشرعية أي دور جديد بعد الثورة، أو لنقل إنها لم تغير من دورها وأساليبها بعد الثورة المصرية ولم تنخرط في العمل السياسي بشكل مباشر.

جماعة أنصار السنة المحمدية

قام الشيخ محمد حامد الفقى عام ١٩٢٦م بتأسيس "جماعة أنصار السنة المحمدية" ، وهى تعمل بنشاط حتى الآن ، وكان الشيخ محمد حامد الفقى من علماء الأزهر كما كان من مرتادى الجمعية الشرعية ، لكنه اختلف معهم فى إحدى جزئيات مسألة صفات الله تعالى وهى جزئية من علم العقيدة وهى من المحددات التى تفرق بين الفرق الإسلامية المختلفة (كالمعتزلة والأشاعرة وأهل السنة والشيعة وغيرهم) ، ولذلك أنشأ الشيخ حامد الفقى "جماعة أنصار السنة المحمدية" وهى فى فكرها العقيدى أقرب إلى أهل السنة أكثر من الجمعية الشرعية وتركز فى خطابها على محاربة بدع المساجد والأضرحة والصوفية وتعتبر أن البعد عن الإسلام الصافى هو أحد أسباب تخلف الأمة الإسلامية ، كما أن مسألة وجوب الحكم بالشريعة على مستوى نظام الحكم فى الدولة حاضرة ومنصوص عليها فى أدبيات الجماعة وميثاقها ولكنهم عندما يطالبون بها عبر الخطابة والكتابة والدروس المسجدية فإن ذلك

لا يصحبه أى عمل سياسى آخر. ومعظم علماء "جماعة أنصار السنة المحمدية" هم من علماء الأزهر الشريف حتى اليوم، ولها فروع كثيرة فى كل محافظات مصر لكنها أقل حيوية من الجمعية الشرعية رغم أن فكرها الفقهى أكثر حيوية من فكر الجمعية الشرعية.

وتصدر "جماعة أنصار السنة المحمدية" بانتظام مجلة شهرية اسمها "التوحيد" تتسم بأنها بعيدة إلى حد كبير عن الكلام فى السياسة وهى بذلك عكس مجلة الجمعية الشرعية، بل إن هذا مثير للدهشة لأن الطرح الفكرى لجماعة أنصار السنة أكثر التصاقا بالسياسة إذا قارناه بالطرح الفكرى لـ"الجمعية الشرعية" بسبب حرص "جماعة أنصار السنة" الواضح والصريح فى ميثاقها على طرح قضية الحكم بالشريعة والدعوة لها والإصرار على أنها واجب شرعى لا سبيل للفكاك منه وأنه السبيل الوحيد للإصلاح والخروج من أزمات الأمة الراهنة.

و شارك د. عبد الله شاكر رئيس جماعة أنصار السنة بعد الثورة المصرية فى تأسيس ما سمى بمجلس شورى العلماء ويرأسه هو نفسه ويضم المجلس عددا من علماء التيار السلفى المستقلين وهم محمد حسان ومصطفى العدوى وأبو إسحاق الحوينى ومحمد حسين يعقوب ووحيد بالى وجمال المراكبى

(من مشايخ جماعة أنصار السنة) وأبو بكر الحنبلي وجمال عبد الرحمن بالإضافة للشيخ سعيد عبد العظيم وهو من منظمة الدعوة السلفية.

واعتاد هذا المجلس على إصدار بيانات تبرز رأى المجلس فى أحداث الساعة المختلفة[٨] وقد ذكر الموقع الرسمى للمجلس على الإنترنت النص التالى: "تأسس هذا المجلس فى الخامس من ربيع الآخر لعام ١٤٣٢ هجريًا على خلفية أحداث ثورة ٢٥ يناير المصرية وما تبعها من أحداث وفتن"، ويلاحظ أن هؤلاء الدعاة والعلماء هم ممن لم يشتركوا فى المنظمات والأحزاب الإسلامية الأخرى التى نشأت بعد الثورة باستثناء قلة منهم مشتركة فى "اللجنة الشرعية للحقوق والإصلاح".

الهوامش

(٨) وهى بطبيعتها قضايا سياسية.

جماعة التبليغ والدعوة

تعتبر جماعة "التبليغ والدعوة" أحد فصائل الحركة الإسلامية المهمة فى مصر تالية فى المرتبة بعد التيار السلفى. وقد دخلت جماعة التبليغ والدعوة إلى مصر فى منتصف سبعينيات القرن الماضى تقريبا قادمة من الهند، ومؤسس جماعة "التبليغ والدعوة" الهندية من مشايخ الصوفية هناك.

وعلى كل حال فإن جماعة "التبليغ والدعوة" عندما دخلت العالم العربى أخذت صبغة سلفية شكلية نتيجة لسيادة المنهج السلفى فى معظم فصائل الحركة الإسلامية على اختلافها لالتزام الفصائل كافة بالعمل (ولو شكليا فى بعض الحالات) بحديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم "تفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة، قالوا: وما تلك الفرقة؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابى" رواه أبو داود وأحمد والحاكم وغيرهم وهو حديث صحيح، كما أن أول من أدخل جماعة "التبليغ والدعوة" إلى مصر هو الشيخ إبراهيم عزت

(رحمه الله) وكان ذا توجه سلفى فاصطبغت جماعة "التبليغ والدعوة" فى مصر بطبيعة إبراهيم عزت السلفية.

وجماعة "التبليغ والدعوة" كانت وما زالت من أكبر الجماعات الإسلامية المصرية عددا وذلك بسبب الطبيعة البسيطة والسهلة لمنهجها الفكرى وأسلوبها البسيط والنشيط فى العمل وفاعلية وحماس أعضائها، وعدم اصطدامها بالحكومة وعدم منع الأمن لها وإن ضيق عليها أحيانا بشكل محدود قبل الثورة.

ويتلخص تصور جماعة "التبليغ والدعوة" للواقع الإسلامى المعاصر وسبل تغييره فى مثل يضربه عادة نشطاء جماعة "التبليغ والدعوة" عند شرحهم لمنهج جماعتهم وهو أن الأمة الإسلامية مثل كوب ماء يركد فى قاعه كمية كبيرة من السكر وكل ما تحتاجه الأمة هو تقليب هذا الماء بملعقة حتى يذوب السكر فيه ويصبح حلوا، فالأمة فيها الخير لكنها تحتاج لحركة تنشط هذا الخير الكامن فى نفوس الناس، وهذا التقليب هو ما تقوم به جماعة "التبليغ والدعوة" فى العالم كله، عبر دعوة الناس فى الشوارع للصلاة فى المسجد وعند ذهابهم للمسجد يلقون عليهم دروسا فى منهج الجماعة وكلاما حماسيا كثيرا جدا فى وجوب الصلاة والتحلى بالمظهر الإسلامى فى المأكل

والمشرب والملبس والنشاط فى الدعوة عبر جماعة "التبليغ والدعوة" لإنقاذ الأمة الإسلامية من النار، كما يعرضون على مرتادى المسجد "الخروج فى سبيل الله" للدعوة فى إطار جماعة "التبليغ والدعوة".

وهذا الخروج هو وسيلة عملهم الرئيسة؛ حيث يخرج العضو لمسجد بعيد عن بلدته أو حتى دولته لمدد تبدأ من ثلاثة أيام وتتدرج إلى أربعة أشهر وتمر بأربعين يوما، وهذا الخروج فى سبيل الله يتضمن المكث فى المسجد وعدم الخروج منه إلا فى الجولات التى يدعون فيها الناس من الشوارع والمقاهى إلى المسجد.

وتلزم جماعة "التبليغ والدعوة" أتباعها بعدم الكلام فى السياسة أو فى شئون الجماعات الإسلامية المختلفة أو الخلافات الفقهية أو الكلام عن غير المسلمين كما تلزمهم بعدم الاشتغال بطلب العلم الشرعى لأنه سيشغلهم عن العمل الأهم من وجهة نظرهم وهو الدعوة للتدين.

ولم تشترك جماعة التبليغ والدعوة فى أحداث الثورة المصرية بسبب امتناعهم عن الانخراط فى أى شكل من أشكال الممارسة السياسية، وبالتالى لم يشاركوا فى أى من الأحزاب الإسلامية التى نشأت بعد الثورة كما لم يعلنوا أى دعم لأى منها.

جماعة الإخوان المسلمين

من أقدم فصائل الحركة الإسلامية "جماعة الإخوان المسلمين" التى أنشأها الشيخ حسن البنا (رحمه الله) عام ١٩٢٨م، وحاول حسن البنا أن يجمع بين مختلف التيارات الفكرية الإسلامية فى جماعته كى يوحد صفوف المسلمين فى مواجهة التحديات الخطيرة التى تواجههم فأعلن "نحن دعوة سلفية وحقيقة صوفية" ولكن حسن البنا شدد على أن الصوفية وسيلة وليست غاية وأنها منهج تربوى وليست دروشة، لكن هذا لم ينجح فى لمّ الشمل إلا بقدر محدود فلا السلفيون تركوا جماعاتهم والتحقوا بالإخوان ولا الصوفية تركوا طرقهم وانضموا للإخوان، لكن الذى حدث أن أصبح فى الإخوان تيارات سلفية وأخرى صوفية وهكذا.

وقد هاجم البنا الشق الفكرى المخالف للإسلام فى الحضارة الغربية ولكنه استفاد من علوم غربية متعددة بسبب عدم تصادمها مع الإسلام وعلى رأسها علم التنظيم والإدارة والصحافة والإعلام وغيرها.

وما زال الإخوان المسلمون فى العالم كله يطبقون مبادئ حسن البنا بشكل عام حتى الآن بدرجات متفاوتة.

وقد ذهب البنا إلى أن المسلمين قد اضمحلت حضارتهم بسبب بعدهم عن الإسلام الذى كان عليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته الكرام، ومن ثم فالسبيل لحل مشكلات المسلمين كلها وعودة مجد الأمة الإسلامية الغابر هو العودة للالتزام بالإسلام كما كان عليه الصحابة.

أما وسيلة التغيير عند الإخوان فإنها مرت بعدة تطورات منذ أسس البنا جماعة الإخوان المسلمين وحتى الآن، إذ مال البنا بعد تطور الجماعة ووصولها لأوج قوتها إلى تأسيس ما أسماه بـ"التنظيم الخاص" وقد ظن أكثر الكتاب والباحثين أن هذا التنظيم هو تنظيم عسكرى سرى فقط ولكن الحقيقة أن هذا التنظيم هو تنظيم عقائدى ومسلح فى آن واحد وأتت سريته من منطلق أن البنا كان مدركا أن الإنجليز والقصر بل وسائر القوى الدولية الكبرى لن تسمح بوجود تنظيم سياسى إسلامى كبير وقوى يسعى لإعادة الخلافة الإسلامية، ومن ثم أعد العدة ليوم المواجهة، ولكن بعد اغتيال الحكومة للبنا وضربها لجماعة الإخوان، فإن خليفة البنا حسن الهضيبى (رحمه الله) سعى لإيهام الجميع بأنه يعمل على حل التنظيم

الخاص بينما كان يسعى لإعادة بنائه على أسس جديدة تتلاءم مع طبيعة المرحلة الجديدة فى ضوء تجربة الإخوان السابقة، وذلك وفقا لرواية صلاح شادى وغيره.

ثم دخل الإخوان صراعات متتالية مع نظام جمال عبد الناصر بعد الثورة انتهت بإلقائهم فى السجن، حتى أفرج عنهم السادات فى منتصف السبعينيات، ليصبح التنظيم الخاص مجرد تاريخ.

وبذا دخل الإخوان المسلمون فى مصر مرحلة جديدة من تاريخهم ألغوا فيها العمل المسلح كوسيلة للتغيير السياسى من حساباتهم وحصروا وسائل تغيير الحكومة والمجتمع فى النضال السياسى السلمى والعمل الاجتماعى الخدمى والعمل الثقافى والإعلامى، وسرعان ما خاضوا انتخابات مجلسى الشعب والشورى والمجالس المحلية قبل الثورة ولولا تعنت الحكومة معهم وتزويرها الانتخابات لفازوا بنسبة كبيرة فى الانتخابات.

ورغم أن الإخوان نافسوا فى أى انتخابات دخلوها قبل الثورة بحساب حذرا من بطش الحكومة فقد شاركوا بقوة فى ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ ولولا مشاركتهم القوية والمنظمة (بعد فضل الله) لما نجحت هذه الثورة. وبعد الثورة أسس الإخوان المسلمون «حزب الحرية والعدالة» ليكون ذراعهم السياسى فى

العمل الحزبى واستعدوا لخوض انتخابات مجلسى الشعب والشورى، وحاز التحالف الديمقراطى الذى يقودونه أكثر من ٤٧٪ من مجلس الشعب.

وقد اتجه الإخوان المسلمون عبر حزبهم "الحرية والعدالة" إلى التحالف مع العديد من القوى العلمانية الليبرالية والناصريين بهدف إعطاء إشارة للقوى السياسية المختلفة داخل وخارج مصر تطمئنهم بأن الإخوان المسلمين لا يرغبون فى الاستئثار بحكم البلاد أو قيادتها وفق منهج معاد للقوى السياسية الداخلية أو القوى الإقليمية أو الدولية لا سيما بعدما لاحظ الإخوان المسلمون الضغوط الإقليمية والدولية التى تمت ممارستها ضد حكومة حماس فى قطاع غزة وهى امتداد فكرى حقيقى لإخوان مصر منذ أن كانت غزة تابعة للإدارة المصرية.

القطبيون

يرجع تكون جماعة "دعوة أهل السنة والجماعة" المعروفة إعلاميا باسم "القطبيون" إلى فترة السجن بعد انتهاء محاكمات قضية الإخوان المسلمين في عام ١٩٦٥م، والتى تعرف عند البعض بتنظيم سيد قطب، وقد تكونت من مجموعة صغيرة من قادة وأعضاء الإخوان المسلمين وكان على رأسهم فى السجن الأستاذ محمد قطب شقيق سيد قطب، وكان من ضمنهم كل من عبد المجيد الشاذلي ومصطفى الخضيرى ومحمد مأمون، والثلاثة الأخيرون هم من قاموا مع آخرين بتأسيس الجماعة بعد خروجهم من السجن.

وقد اختلفت "جماعة دعوة أهل السنة والجماعة" مع الإخوان فى عدة قضايا.وأهمها إستراتيجية العمل الإسلامى.

والإستراتيجية التى اعتمدها القطبيون للتغيير الإسلامى قد دونها بشكل متكامل محمد قطب فى كتابه "واقعنا المعاصر" وتتلخص فى أنه يتحتم تربية أغلبية الشعب على العقيدة الإسلامية الصحيحة حتى إذا قامت الدولة الإسلامية أيَّدها

وتحمل الصعاب التى ستترتب على قيامها من قبل القوى الغربية التى ستقاوم أى نهضة إسلامية حقيقية فى مصر وستضرب حصارا ظالما (حسب رأيه) على الدولة الإسلامية الناشئة يطال كل شيء من أول منع استيراد القمح والمواد الغذائية إلى منع استيراد أى مواد صناعية، بل ومنع تدفق ماء النيل بطريقة أو أخرى حتى لو وصل الأمر إلى ضرب السد العالي بقنبلة نووية صغيرة. وانطلاقا من هذه الرؤية فالقطبيون يرون أنه بجانب تربية الشعب قبل إقامة الدولة الإسلامية فإنه يتحتم أن يهتم أبناء الحركة الإسلامية بالتفوق فى تعلم العلوم والتكنولوجيا الغربية الحديثة حتى تتوافر لهم فرص إيجاد الحلول العلمية الحديثة للتغلب على هذه الصعاب المترتبة على إقامة الدولة الإسلامية فى مصر.

ورغم أن إستراتيجية القطبيين فى التغيير لها رونقها ووجاهتها إلا أنهم لم يضعوا تكتيكات (أساليب) واضحة ومناسبة لتحقيقها مما جعلها تبدو وكأنها نوع من الترف الفكرى، ولذلك فإن القطبيين عددهم محدود بسبب هذا الخلل فى تكتيكات العمل.

وقد شارك القطبيون بقوة في الثورة المصرية سواء فى ميدان التحرير أو فى محافظات مصر المختلفة، لكنهم بعد نجاح الثورة

اختلفوا على ما إذا كان يجوز لهم شرعا المشاركة فى العمل الحزبى أم لا ، ورغم أن منظِّر القطبيين الأول "الشيخ عبد المجيد الشاذلى" يؤيد المشاركة الحزبية فإن أغلبية الجماعة رفضت هذا الرأى ولم يشاركوا فى حزب وامتنعوا عن تأسيس حزب لكنهم فى بعض المحافظات أقاموا جمعيات خيرية لممارسة العمل الدعوى والاجتماعى العام من خلالها .

جماعة الجهاد الإسلامى

فى عام ١٩٦٦م تأسست الخلايا الأولى لتنظيم الجهاد المصرى وكان أبرز مؤسسيها ثلاثة هم علوى مصطفى وإسماعيل طنطاوى ونبيل البرعى (وثلاثتهم من القاهرة). أصبحت هذه المجموعة تنظيما يضم عددا من المجموعات فى القاهرة والجيزة والإسكندرية، وقليل من المحافظات الأخرى، وكانوا جميعا من طلبة الثانوية أو الجامعة لكن التنظيم استمر سنوات كبر فيها كل صغير.

وكان من بين أعضاء هذا التنظيم أيمن الظواهرى فى نهاية الستينيات، كما كان من أعضاء هذا التنظيم يحيى هاشم ورفاعى سرور وعصام القمرى وحسن الهلاوى ومصطفى يسرى.

ولقد أسهم فى تشكيل أفكار وإستراتيجية التنظيم ثلاثة عوامل:

الأول: أن كل قادة وأعضاء التنظيم تربوا فى مساجد الجمعية الشرعية وجماعة أنصار السنة المحمدية وهما جماعتان ذاتا توجه سلفى واضح، كما تأثر جميع أعضاء التنظيم بالشيخ

محمد خليل هراس (وهو أحد علماء الأزهر الشريف، ورئيس جماعة أنصار السنة في ذلك الوقت) تأثرا كبيرا جدا.

الثاني: أن فكرة الانقلابات العسكرية كانت رائجة في ذلك الوقت في العالم العربي، وجرى تنفيذها بنجاح كبير في دول عربية وإسلامية كثيرة في ذلك الوقت بما في ذلك مصر نفسها، كما راجت في ذلك الوقت أيضا فكرة حرب العصابات من أجل التحرر الوطني، ونجحت في إقامة أنظمة حكم تعبر عن أهدافها بالعديد من دول العالم.

الثالث: اعتقاد مؤسسي التنظيم أن تنظيم الضباط الأحرار كان تابعا للإخوان المسلمين ثم خانهم لأن الإخوان لم يحسنوا تربية وتثقيف الضباط على فكر الجماعة، كما أن الجماعة - حسب رأيهم- أخطأت لأنها لم تستخدم القوة وتحديدا الانقلاب العسكري في مواجهة عبد الناصر.

وكانت الآثار المباشرة لهذه العوامل الثلاثة هي تبني التنظيم للمنهج السلفي في مجالي الاعتقاد والدراسات الشرعية، وتبنيه لمنهج التغيير السياسي والاجتماعي والاقتصادي بالقوة المسلحة.

ولقد اختار التنظيم مبدئيا أسلوب الانقلاب العسكري لتحقيق هذا التغيير، وتبنى الاعتماد في اختراق الجيش على

أشخاص تم تربيتهم مسبقا فى التنظيم ثم دفعهم للالتحاق بالكليات العسكرية.

كان التنظيم يعتمد مناهج لتعليم الدراسات الشرعية تقوم على أساس المنهج السلفى، كما ألزم الأعضاء بحضور دروس الشيخ محمد خليل هراس بمسجد "قولة" بعابدين وهو المقر العام لجماعة أنصار السنة، كما تضمنت المناهج الدراسية بجماعة الجهاد الأولى هذه كتاب "فى ظلال القرآن" لسيد قطب، وكذا كتاب "معالم فى الطريق" له أيضا رحمه الله.

ولقد سألت العديد من المصادر ومنها بعض القادة والمؤسسين ومنهم نبيل البرعى تحديدا وكذا الدكتور مصطفى يسرى، هل كان لكم علاقة بالإخوان المسلمين؟

فأجابوا جميعا إجابة واحدة هى: لم أكن فى يوم من الأيام عضوا فى الإخوان المسلمين كما لم يكن أحد من أسرتى عضوا فى الإخوان كما لم أتعلم على يد أحد من الإخوان.

وسألتهم ما الذى دفعكم لفكرة التغيير؟

قالوا: رأينا الواقع مخالفا لما ينبغى أن يكون عليه الواقع الإسلامى كما درسناه فقررنا أن نغيره.

وسألتهم لماذا اخترتم القوة كوسيلة وحيدة للتغيير؟

قالوا: لأنها الوسيلة الوحيدة الناجحة كما أن النظام الحاكم يحكم بالقوة والقمع ويسد أى منفذ للتغيير السلمى، ويستخدم كل إمكانات الدولة لمنع أى تغيير اجتماعى إسلامى سلمى ومتدرج.

وسألتهم لماذا الانقلاب العسكرى تحديدا وليس غيره؟

قالوا: أغلب حكام العالم الإسلامى حصلوا على الحكم بهذه الطريقة وهى طريقة فعالة ونحن أولى باستخدامها لأننا نعبر عن دين وثقافة الأمة أما هم فلا يعبرون إلا عن فكر ومصالح الغرب.

وقد استمرت جماعة الجهاد بأشكال متعددة كما قابلتها العديد من المشكلات والانشقاقات وتعرضت لضربات أمنية لأسباب متعددة وتعرض تنظيم الجهاد لمحاكمات عسكرية أو أمن دولة طوارئ فى عدة قضايا مثل قضية الفنية العسكرية عام ١٩٧٤م وقضية الجهاد عام ١٩٧٧ وقضية الجهاد عام ١٩٧٩م بتهمة التخطيط لانقلاب عسكرى وقضايا الجهاد واغتيال السادات عام ١٩٨١م وغيرها من القضايا خاصة فى التسعينيات من القرن العشرين وتكلل ذلك كله بإضعاف تنظيم الجهاد بشدة عبر القمع الأمنى الشديد الذى استهدفه من قبل الأجهزة الأمنية المصرية والأمريكية والأوروبية حيث

كان العالم كله ساحة مواجهة بين أجهزة مبارك وتنظيم الجهاد المصرى منذ ١٩٩٠م وحتى الثورة المصرية فى ٢٥ يناير ٢٠١١م[٩] وساندت أجهزة المخابرات الأوروبية والأمريكية مبارك.

وأبرز العمليات المسلحة التى قام بها تنظيم الجهاد هى:

١- محاولة انقلابية فاشلة عام ١٩٧٤م عرفت باسم عملية "الكلية الفنية العسكرية"، وقد حوكم أعضاء وقادة من تنظيم الجهاد فيها بقضية عرفت إعلاميا بهذا الاسم.

٢- مهاجمة حراس قنصلية أجنبية بالإسكندرية عام ١٩٧٧م ومحاولة سلب سلاحهم، وقد حوكم قادة وأعضاء التنظيم فى ذلك الوقت فى قضية عرفت إعلاميا باسم قضية تنظيم الجهاد بتهمة التخطيط لقلب نظام الحكم.

٣- اشتباك على المغربى عضو تنظيم الجهاد بالإسكندرية عام ١٩٧٧م مع قوة من الشرطة حاولت اعتقاله وقتل فى الاشتباك ضابط أمن دولة كما لقى على المغربى مصرعه.

٤- اغتيال الرئيس أنور السادات ومجموعة من مرافقيه فى العرض العسكرى فى ٦ أكتوبر ١٩٨١م على يد أربعة من أعضاء تنظيم الجهاد ومحاولة القيام بانقلاب عسكرى على نظام حكم السادات.

٥- إلقاء قنبلة على معسكر قوات أمن القاهرة بحى الساحل بشبرا فى ٨ أكتوبر ١٩٨١م.

٦- محاولة اغتيال وزير الداخلية الأسبق اللواء حسن الألفى عبر تفجير أحد أعضاء التنظيم نفسه فى موكب الوزير أمام الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وقد قتل عضو التنظيم بينما أصيب اللواء حسن الألفى وعدد من حراسه بجراح بالغة (صيف ١٩٩٣م).

٧- محاولة اغتيال رئيس الوزراء الأسبق عاطف صدقى بتفجير موكبه بسيارة ملغومة تم تفجيرها بالتحكم عن بعد بأحد شوارع القاهرة، ولم يصب رئيس الوزراء بأذى لكن أصيب بعض المارة بإصابات مختلفة (خريف ١٩٩٣م).

٨- اغتيال الشاهد الأول فى قضية محاولة اغتيال عاطف صدقى قبيل موعد إدلائه بشهادته بعدة ساعات (شتاء ١٩٩٣م).

٩- عدد من المحاولات الفاشلة لاغتيال الرئيس حسنى مبارك عبر المتفجرات فى شوارع القاهرة، كانت إحداها بسيارة ملغومة أمام أحد المساجد، وأخرى كانت عبر تلغيم الطريق الرئيسى الذى يمر به موكبه، وفى كل الحالات لم يتم التفجير لأن الرئيس غير مسار موكبه فى اللحظات الأخيرة.

١٠- تفجير السفارة المصرية فى إسلام أباد (باكستان) .

١١- الاشتراك مع منظمة القاعدة فى تفجير السفارتين الأمريكيتين فى كينيا وتنزانيا فى وقت متزامن (١٩٩٨م) .

وابتداء من ١٩٩٩م بدأ العديد من قادة جماعة الجهاد المصرية فى السجون المصرية ما سمى بمراجعات الجهاد[١٠] ، والتى قادها أخيرا الدكتور سيد إمام الشريف والذى ألف كتابين لهذا الغرض ، الأول "وثيقة ترشيد العمل الجهادى فى مصر والعالم" ، وتهدف لإقناع قادة وأعضاء الجهاد بالمبررات الشرعية لوقف العمليات المسلحة فى مصر والعالم ، والكف عن السعى لقلب النظم الحاكمة فى العالم الإسلامى ، وقد ألف الدكتور أيمن الظواهرى كتابا رد فيه على وثيقة الدكتور سيد إمام الشريف فعاد سيد إمام وألف كتابا ثانيا رد فيه على كتاب الظواهرى ، وما زالت مراجعات الجهاد تتفاعل بين مؤيد ومعارض من قادة التنظيم وأعضائه حتى الآن فى داخل مصر وخارجها .

وجماعة الجهاد منذ عام ٢٠٠٠م وهى واقعيا مفككة ولا يوجد لها كيان يمثلها لكن مئات من الأعضاء السابقين فى جماعة الجهاد أحضروا أبناءهم وزوجاتهم لميدان التحرير بدءا من جمعة الغضب (٢٨ يناير ٢٠١١م) وشاركوا فى الثورة

حتى سقوط مبارك وبعدها شكلت مجموعة منهم "الائتلاف الإسلامى الحر- ثورة مصر" بقيادة المهندس سيد عبد الفتاح، كما شكلت مجموعة أخرى "حزب السلامة والتنمية" تحت التأسيس لكنهم فشلوا فى إتمام عملية التأسيس -حتى كتابة هذه السطور- وحدثت بينهم خلافات كثيرة وانشق أغلب مؤسسى الحزب بسبب خلافاتهم مع رئيس الحزب واعتراضهم على رئاسته للحزب والتى اعتبروها رئاسة بالإكراه، كما انضم عدد من أعضاء الجهاد السابقين بشكل شخصى لعدد من الأحزاب الإسلامية التى نشأت بعد الثورة كما رشح بعضهم أنفسهم كمستقلين فى الانتخابات البرلمانية الأخيرة.

الهوامش

(٩) تفصيلات ذلك كله مذكورة في كتاباتي الأخرى فمن أراد الاطلاع عليها فليراجعها هناك كما أنني أعد حاليا كتابا موسعا يضم كل هذه التفصيلات لعدم اتساع المقام هنا للتفصيل.

(١٠) ألفت كتابا كاملا عن مراجعات جماعتي الجهاد والجماعة الإسلامية في مصر بعنوان "مراجعات الجهاديين" وصدر في القاهرة عن مكتبة مدبولي عام ٢٠١٠م.

جماعة المسلمين (التكفير والهجرة)

كان الشاب شكرى مصطفى متعاطفا مع جماعة الإخوان المسلمين فى الستينيات من القرن العشرين، ولذلك تم القبض عليه معهم وشاركهم محنتهم فى سجون عبد الناصر ابتداء من عام ١٩٦٥م وحتى خروجهم من السجن بعد موت عبد الناصر، ولم يكن شكرى مصطفى متشربا بفكر الإخوان المسلمين بشكل كاف كما أن ما حدث له ولغيره من تعذيب بشع دفعه للتفكير بشكل نقدى فى فكر الإخوان المسلمين وموقفهم الفقهى من السلطة والمجتمع، وساعده فى ذلك أن محمد عبده إسماعيل من المعتقلين من أعضاء الإخوان المسلمين الأكبر سنا والأقدم فى الدعوة قد تبنى فكرا يرتكز على تكفير كل من يخالف النسق العقيدى والفقهى الذى يتبناه وقد ساق محمد عبده إسماعيل نسقا فقهيا وعقيديا يتطابق فى معظم جزئياته مع مذهب الخوارج وهم الفرقة الإسلامية التى ظهرت ابتداء من خلافة الإمام على بن أبى

طالب (رضى الله عنه)، وكان ظهور هذا الفكر الجديد والدعوة إليه فى السجن هو سبب تأليف الأستاذ حسن الهضيبى المرشد الثانى للإخوان المسلمين لكتابه الشهير "دعاة لا قضاة" فى محاولة لتحصين جماعة الإخوان المسلمين ضد هذا الفكر الخطير.

والعجيب أن محمد عبده إسماعيل الذى تتلمذ عليه شكرى مصطفى سرعان ما تراجع عن هذا الفكر وظل شكرى متمسكا به وداعيا إليه، إلى أن خرج من السجن وأسس جماعة أسماها "جماعة المسلمين" واشتهرت إعلاميا باسم "جماعة التكفير والهجرة"، وقدر عددها فى أزهى عصورها (منتصف السبعينيات) بعدة آلاف، أما الآن فيصل عدد أعضائها الألف بالكاد.

وترتكز المنظومة الفكرية لجماعة المسلمين على عدة أسس:

١- اعتبار أن الألفاظ المعبرة عن سائر المعاصى كالظلم والفسق والذنب والخطيئة والسيئة والخطأ ونحوها تعنى كلها معنى واحدا هو الكفر المُخرج عن الملة، وبالتالى فكل من ارتكب أى مخالفة شرعية مما يطلق عليها أحد هذه المسميات فى آيات القرآن أو فى الأحاديث فهو كافر كفرا مخرِجا عن ملة الإسلام.

٢- اعتبار أن الهجرة من دار الكفر (أى دولة لا تحكم بالشريعة) واجب شرعى حتمى، ولذلك سعت جماعتهم لإيجاد مكان للهجرة فيه واعتزال المجتمع.

٣- اعتبار مبدأ التوقف فى الحكم على أى مسلم ليس معهم فى الجماعة فلا يحكمون له بكفر أو إسلام حتى يتبين كفره من إيمانه، وهذا التبيُّن يكون عبر عرض فكر الجماعة عليه فإن وافق انضم إليهم وصار مسلما حسب رأيهم وإن رفض حكموا بكفره.

٤- الحكم بكفر من يتحاكم للقانون الوضعى أيا كان دافعه وأيا كان نوع القانون الوضعى الذى يتحاكم إليه، ولا يعتبرون فى ذلك أى استثناء كحالات الإكراه أو الاضطرار أو الجهل أو الخطأ ونحو ذلك بل يتمسكون بالتكفير فى ذلك كله، ولا يفصلون فى ذلك بين القانون الوضعى المخالف للشريعة أو الموافق لها، فهم لم يطرحوا ذلك الفرق أصلا.

وبناء على هذه الأفكار رفضت جماعة شكرى مصطفى علماء السلف وأقوالهم وكتبهم بل كانوا ينتقون من الأحاديث ما يؤيد مذهبهم ويرفضون ما لا يؤيده بلا ضابط أو قاعدة محددة، كما أنهم يفسرون القرآن برأيهم ووفق أفكارهم ويرفضون أى تفسير يخالف رأيهم كما أنهم لا

يرتكزون على كتب تفسير ولا حديث ولا غيره، بل الذى كان يقرأ الكتب ويشرحها لهم شكرى مصطفى نفسه وسجلوا ودونوا ما قاله وكل اعتمادهم عليه حتى الآن، والمجموعة التى كانت تقرأ فى الكتب كان مصير أغلبها ترك الجماعة وفكرها.

وتورطت جماعة شكرى مصطفى فى خطف واغتيال وزير الأوقاف حينذاك الدكتور محمد حسين الذهبى بعد أن كان قد انتقد فى إحدى المناسبات فكر جماعة شكرى مصطفى، بسبب إحساسه بخطورة هذا الفكر وعظم مخالفته للعقيدة الإسلامية، وقد أثيرت العديد من الشكوك حول ما إذا كان شكرى مصطفى قد تورط فى هذا القرار بسبب اختراق أمنى محدد دفعه لذلك لضرب عصفورين بحجر واحد:

الأول: هو التخلص من الوزير محمد حسين الذهبى رحمه الله بسبب دخوله فى ذلك الوقت فى صراع مع مراكز قوة معينة فى الحكم.

والثانى: هو توريط شكرى وجماعته فى عمل إرهابى كبير يمكن أن يتخذ ذريعة للخلاص من شكرى وجماعته بالكلية بعدما استفحل خطرها بسبب انتشارها واتساع حجم عضويتها.

وما زالت حتى الآن هذه الفرضية محل بحث وجدل بين قادة الجماعة القدامى وأعضائها المؤسسين، وكذلك بين الكتاب والباحثين المهتمين بتاريخ هذه الجماعة.

وبعد فشل شكرى وإعدامه وضعف جماعته اتخذت الجماعة منهجا مختلفا فى التغيير يرتكز على فكرة انتظار ظهور المهدى المنتظر والانضمام إليه، ومن ثم فهم يمارسون الدعوة إلى أفكارهم دون تسلح أو سعى لأى عمل سياسى أو عسكرى من أى نوع ويقتصر عملهم داخل الجماعة على العمل التربوى والاجتماعى بالإضافة للعمل التعليمى لأنهم باتوا يحرمون دخول المدارس والجامعات بعد إعدام شكرى ورفاقه.

السلفية

مقدمة لا بد منها

هناك فرق بين "التيار السلفى" وبين "المنهج السلفى" فـ"التيار السلفى" هو تيار سياسى مكون من كيانات عديدة كما سيتبين فى الصفحات التالية أما "المنهج السلفى" فهو منهج فكرى يتبناه العديد من الكيانات السياسية كالإخوان المسلمين وتنظيم الجهاد ومنظمة الجماعة الإسلامية وجماعة أنصار السنة والجمعية الشرعية بدرجات متفاوتة، ومن هنا فسوف نبدأ بشرح مفهوم "المنهج السلفى" أولا كمفهوم عام يتبناه بدرجات متفاوتة العديد من المنظمات والكيانات الإسلامية وبعد ذلك ننتقل للكلام على التيار السلفى باعتباره كيانا سياسيا ودينيا.

"المنهج السلفى"

بداية تنبغى الإشارة إلى أن "المنهج السلفى" يوجب اتباع منهج السلف (من صحابة وتابعين ومن سار على نهجهم فى القرون الهجرية الأولى) فى تلقى الإسلام وفهمه وتطبيقه،

معتبرا أن التمسك بهذا المنهج يجد تبريره فى أن أئمة هذه القرون قد حققوا الإسلام الصحيح فدانت لهم الدنيا وقدموا أفضل حضارة شهدتها البشرية فى تاريخها الطويل وهى حضارة قامت على الحق والعدل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فالاقتداء بهم وفق "المنهج السلفى" يهدف إلى الارتفاع إلى المستوى العالى الذى حققوه كرواد فهموا الإسلام كدين وحضارة أى الهدف هو الارتفاع إلى مستواهم لا الرجوع إلى الزمن الذى عاصروه بوسائله وأدواته ، فاتباعهم إذن هو فى القيم التى حققوها وعاشوا من أجلها لا فى وسائل المعيشة التى استخدموها ، فليست السلفية زرعا للماضى فى أرض الحاضر ولكن السلفية -بحسب هذا الرأى- هى العمل بقيم الإسلام الصحيحة لإصلاح الدين والدنيا(١١) .

وإذا كان هذا الكلام مجملا فيمكننا عرض محددات "المنهج السلفى" من خلال عرض عدد من القضايا على النحو التالى:

أولا : تقديم النقل على العقل

"المنهج السلفى" يعتمد على النقول الشرعية ثم يخضع لها العقل ، ويعتبر أن العقل يوافق الشرع لا يخالفه ، والصحابة ومن تبعهم فى منهجهم من التابعين وأتباعهم فى نظر "المنهج السلفى" هم الأكثر فهما للشرع ، وهذه القاعدة تعكس أحد

مظاهر التناقض بين "المنهج السلفى" (أو أهل السنة تاريخيا) وبين الفرق الإسلامية الأخرى التى اعتمدت علم الكلام فى مجال فهم العقيدة والدين، فالأخيرون يرون أن الشرع يُؤول إذا خالف آراءهم العقلية ليوافق ما عليه عقولهم، بينما أهل السنة والجماعة الذين يسير "المنهج السلفى" اليوم على منهجهم فهم يرون أنهم يقومون عوج الحياة بالنصوص الشرعية بينما يرون أن المتكلمين (ومن نحا نحوهم من الفرق كالمعتزلة وغيرهم) يسيطرون على النصوص الشرعية ليبرروا بها عوج الحياة(١٢).

و هناك الكثير من نصوص الكتاب والسنة تؤيد "المنهج السلفى" هذا فمنها:

قوله تعالى:

﴿ يأَيُّها الَّذين آمنُوا أَطيعُوا اللهَ وأَطيعُواْ الرَّسُولَ وأُولي الأَمْرِ منكم فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّه وَالرَّسُول إِن كُنتُمْ تُؤْمنُونَ بِاللَّه وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (النساء٥٩)، فالآية تأمر المؤمنين بالله واليوم الآخر بالرجوع للرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيما يحدث فيه الخلاف والرجوع للرسول بعد موته يكون بالرجوع إلى أحاديثه وسنته.

وقوله عز وجل:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِمَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة٢١٣)، وهذه الآية تشير لنفس المعنى.

وقال تعالى أيضا: ﴿اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف٣)، وهذه الآية صريحة في وجوب اتباع الشرع.

وحتى عندما ذم الله اتباع العادات والتقاليد والموروث من الآباء أمر باتباع الوحي فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة١٧٠).

ومما يستدل به "المنهج السلفي" على هذه القاعدة -قاعدة تقديم النقل أو الشرع على العقل- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام١٥٣)،

فالصراط المستقيم هو الشرع بينما السبل أى الطرق المتعددة هي نواتج تعدد واختلافات العقول.

كما أن "المنهج السلفى" أشار إلى أن من عارض الشرع أو النقل الصحيح بعقله إنما يفعل ما فعله إبليس عندما أمره الله تعالى أمرا صريحا بالسجود لآدم فرفض وقال كيف أسجد له وأنا خير منه لأننى خُلقت من نار بينما هو قد خُلق من طين، فعارض أمر الله الواضح عبر تحكيم عقله في ذلك الأمر ومعارضة عقله له، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إَلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً ﴾ (الإسراء٦١)، وقال سبحانه أيضا: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ (الأعراف١٢)[١٣].

ويعتبر "المنهج السلفى" أن العقل يوافق هذا الطرح لأن "العقل دل على أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يجب تصديقه فيما أخبر عن الله تعالى لأن العقل آمن برسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبأنه يبلغ عن الله ومقام التصديق للرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوجب اتباعه لا معارضته أو مخالفته"[١٤].

كما اعتبر "المنهج السلفي" أن الرجوع في الأمور الدينية المختلف فيها إلى العقل الإنساني أمر غير منضبط لاختلاف العقول، فهذا بدوره يؤدي إلى الحيرة والارتياب والاختلاف لأن كلا سيزعم أن رأيه أصح من رأى غيره(١٥).

فللمنهج السلفي شروطه ومميزاته ومعالمه التي تميزه عن المناهج الأخرى الكلامية والفلسفية ومن هذه الشروط أن يكون الاستدلال واضحا بارزا بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة(١٦).

فـ"المنهج السلفي" لا يؤمن بالعقل لأنه في نظره قد يضل ويؤمن بالنص وبالأدلة التي يوحي بها النص لأن النص من عند الله فما يقرره القرآن وتقره السنة هو المقبول في "المنهج السلفي" ودور العقل هو التصديق والإذعان وتقريب المنقول من المعقول وعدم المنافرة بينهما فالعقل في "المنهج السلفي" شاهد وليس حاكما والعقل مؤيد ومقرر ولا يكون ناقضا ولا رافضا، فالعقل تابع للنقل فلا يستقل بالاستدلال بل عمله تقريب معاني النص(١٧).

ونتج عن قضية تقديم النقل على العقل إثارة النقاش حول عدد من القضايا الخلافية بين دعاة المنهج السلفي وعدد من الاتجاهات الفكرية القديمة والحديثة مثل مدى حجية الأحاديث

النبوية، فدعاة المنهج السلفى يؤمنون بأن السنة مصدر من مصادر التشريع مثلهم فى ذلك مثل الغالبية العظمى من المسلمين منذ فجر الإسلام وحتى الآن ولم يخالفهم أحد إلا قلة من الكتاب المعاصرين الذين حاولوا أن يحذفوا السنة من مصادر التشريع تحت دعاوى مختلفة مما حدا بدعاة المنهج السلفى للتصدى لهم بالجدل والمناقشة، وقد ألف الألبانى وغيره العديد من الكتب لمناقشة هذه القضية(١٨).

كما اشتبك دعاة المنهج السلفى فى نقاش حامى الوطيس مع المعتزلة ومن لف لفهم فى العصر الحديث حول عدم الاحتجاج بحديث الآحاد الصحيح(١٩) فى مجال العقيدة(٢٠).

ثانيا: الاهتمام بقضية التوحيد

يعتبر "المنهج السلفى" أن أهم شىء فى الإسلام هو العقيدة الصحيحة والتى يطلقون عليها اصطلاحا اسم التوحيد، وتأتى أهميتها من إخبار القرآن بأنها هى أساس الدين ومن أجلها أرسل الله الرسل قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (النحل٣٦)، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ {الأنبياء١٠٨).

والتوحيد حسب المنهج السلفي مستمد من القرآن والسنة وهو مبنى على الإيمان بالله تعالى، ومن الإيمان بالله إفراده تعالى بالعبادة والإيمان بأسمائه تعالى وبصفاته عز وجل، فأركان الإيمان الستة هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، كلها راجعة للركن الأول الذى هو الإيمان بالله تعالى، كما أن العبادات كلها وعلى رأسها أركان الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج كلها لا بد من تحقيق الإيمان بالله (الذى هو التوحيد) لقبولها ولأنها مقدمة لله تعالى، ومن هنا فالسلفيون يهتمون بتحقيق التوحيد ودعوة الناس إليه(٢١)، ولذلك ألف أحد أبرز مشايخ السلفية فى العصر الحديث وهو الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى بحثا بعنوان "التوحيد أولا يا دعاة الإسلام" اعتبر فيه أن الواجب الحتمى والرئيسى إن لم يكن الوحيد على دعاة الإسلام الآن هو تفهيم الناس العقيدة الصحيحة وتربيتهم عليها وقد هاجم الألبانى الإسلاميين الذين يشتغلون عن ذلك بالعمل السياسى ودخول البرلمانات التى تحكم بغير الشريعة حسب تعبيره وذلك فى إشارة واضحة للإخوان المسلمين وقتها، كما انتقد أيضا الذين يلهبون حماس المسلمين للقتال فى الأماكن التى احتل فيها الكفار بلادا إسلامية فى إشارة واضحة للجهاديين(٢٢).

والفهم السلفى للتوحيد جعل دعاة المنهج السلفى يصطدمون بالصوفية والمعتزلة والأشاعرة والشيعة وكافة الفرق الإسلامية المخالفة لعقيدة أهل السنة لاشتمال عقائدها على ما ينافى هذا التوحيد السلفى، ومن أمثلة المظاهر المنافية للتوحيد السنى السلفى تأويل صفات الله تعالي أو التبرك بالأولياء والأضرحة وإقامة المساجد على القبور ونحو ذلك(٢٣).

ويعتبر البعض أن دعاة المنهج السلفى متأثرون بالفكر الوهابى خاصة فى قضية التوحيد هذه، لكن فى واقع الأمر فإن الوهابيين والسلفيين يتبعون عقيدة أهل السنة كما كان عليها وشرحها أئمة المذاهب الأربعة المشهورة والمتبوعة فى العالم الإسلامى وأئمتها المشهورون أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد، ونجد أن أبرز وأشهر كتاب فى العقيدة يهتم السلفيون بتدريسه ونشره هو من تأليف أحد أئمة الأحناف وهو الطحاوى وشارحه هو ابن أبى العز الحنفى، رغم أن هذا الأخير اهتم بنقل الكثير من أقوال أئمة كافة المذاهب كما تأثر جدا بمؤلفات ابن تيمية وتلميذه ابن القيم(٢٤).

ومن قضايا التوحيد فى "المنهج السلفى" قضية الحكم بما أنزل الله فيقول عبد الرحمن عبد الخالق: "من حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر ومن اعتقد أن أحدا من البشر يُشَرِّع للناس

فى شئون معاشهم ودنياهم دون الرجوع إلى شرع الله والالتزام به والسير بمقتضاه فقد عبد غير الله وأشرك به شركا جليا كما قال تعالى: (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً) (النساء٦٥)"(٢٥).

ثالثا: الاتباع

ويقصد "المنهج السلفى" بالاتباع اتباع النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويشار فى هذا الصدد إلى عدة أمور:

منها تحريم التقليد الفقهى ومعنى التقليد الفقهى هو اتباع رأى الفقيه بدون أن يذكر هذا الفقيه الدليل على هذا الرأى من القرآن أو السنة أو غيرهما من مصادر التشريع المعروفة كالإجماع والقياس وغيرهما، ويعتبر المنهج السلفى أن اتباع الرأى الفقهى مصحوبا بدليله هو اتباع واجب للنبى وسنته(٢٦).

كما يقصد "المنهج السلفى" بالاتباع نبذ فكرة غلق باب الاجتهاد، لأن غلق باب الاجتهاد ليس عليه دليل شرعى بل هو مجرد جمود وتقليدية وتعصب للمذاهب القديمة كما أنه يقوى اتجاه التقليد الذى يحرمه المنهج السلفى(٢٧).

ومن هنا كان طبيعيا أن يعارض دعاة المنهج السلفى القول بوجوب التزام المسلم بمذهب فقهى محدد من المذاهب الأربعة المشهورة أو غيرها، لأنهم يركزون على فتح باب الاجتهاد ويوجبون أن يكون الإفتاء مصحوبا بالدليل(٢٨).

و لذلك فقد خاض دعاة المنهج السلفى معارك فكرية كثيرة حول التقليد والالتزام بمذهب فقهى محدد مع عدد من أتباع المذاهب الفقهية الأربعة المتبعة فى العالم الإسلامى الذين أصروا على وجوب التزام المسلم بمذهب محدد من المذاهب الأربعة وألقوا العديد من المحاضرات وألفوا العديد من الأبحاث فى هذا المجال(٢٩).

رابعا: شمولية الإسلام

من الركائز المهمة التى تحكم الإطار الفكرى والعقائدى فى "المنهج السلفى" ما يطلق عليه شمولية الإسلام، ويقصد بذلك عدة مجالات:

المجال الأول: مجال دراسة الإسلام بمعنى أن الإسلام لا بد من دراسته بشكل متكامل دون أن تتقطع أوصاله بين مدارس فكرية مختلفة تزعم كل منها احتكارها للإسلام الصحيح ويشار فى هذا الصدد إلى مدرسة الصوفية التى اختصت بدراسة السلوك والأخلاق وحاولت احتكار الإسلام ومثلها

مدرسة المتكلمين والفلاسفة التى اختصت بالعقيدة وأخيرا مدرسة الفقهاء التى حصرت اهتمامها الإسلامى بفقه العبادات والمعاملات واختلاف الفقهاء بشأنهما ، ورأى "المنهج السلفى" أن هذا التقسيم لا يخدم حقيقة الإسلام التى لها تأثيرها على المسلم فالمسلم لا يمكنه أن يستقيم على الإسلام الصحيح دون التحقق بكل جوانب الإسلام من سلوك وعقيدة وفقه ، فهذا التقسيم أدى إلى تشتت وتمزق النفسية والعقلية المسلمة ، كما أن هذا التقسيم جعل تعلم الدين والتبحر فيه أمرا صعبا على المسلمين كافة .

المجال الثانى : مجال النشاط الإسلامى العام ، فـ "المنهج السلفى" يرى أن انتزاع كل جماعة من الجماعات الناشطة فى المجال العام من منطلق إسلامى جزئية من جزئيات الإسلام للعمل فى إطارها هو عمل غير صحيح ، والمقصود مثلا الجماعات التى اختصت بالإصلاح الاجتماعى أو الجماعات التى اختصت بأعمال البر من توزيع الصدقات وكفالة المحتاجين ونحو ذلك من من أوجه البر ، لأن الإسلام لا يتجزأ ويجب الأخذ به من جميع جوانبه والدليل على ذلك آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الحج٧٧) ، فالآية فيها

العبادات وفعل الخير معا، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (البقرة ٢٠٨)، فالسلم كما قال المفسرون هو الإسلام وتفسير الآية أى ادخلوا فى كافة شرائع الإسلام ولا تخصوا أيا منها دون الأخرى.

الجانب الثالث: اعتبار أن صلاح حال الأمة الإسلامية فى المجالات كافة لن يتم إلا بالرجوع للإسلام بشموله فى كافة المجالات[٣٠].

وقد أدت فكرة الشمولية فى "المنهج السلفى" بهذه الأبعاد إلى اصطدام دعاة المنهج السلفى فكريا مع عدد من الحركات الإسلامية خاصة جماعة الإخوان المسلمين، وقد أكد دعاة المنهج السلفى فى هذا الصدد على أن الإسلام لا يمكن تقسيمه إلى ما أسموه بقشر ولباب ردا منهم على تهوين بعض رموز ومفكرى الإخوان المسلمين لبعض القضايا الإسلامية على اعتبار أنها قضايا صغيرة بينما لا بد -حسب رأى الإخوان المسلمين- من الاهتمام بالقضايا الكبرى الإسلامية على حساب هذه الصغرى وتشمل هذه القضايا عند دعاة المنهج السلفى أشياء سلوكية مثل اللحية والنقاب وشكل الزى لدى كل من الرجل والمرأة[٣١].

الكيانات السلفية

وبعد عرض المنهج السلفى يمكننا أن ننتقل لعرض السلفية ككيان حركى وسياسى حيث إن السلفية بهذا الوصف هى تيار قديم جدا فى مصر منذ العصور الوسطى الإسلامية وقد مثله العديد من الجمعيات والمجموعات منذ بدايات القرن العشرين الميلادى مثل جمعية "الهداية" التى قادها الشيخ محمد الخضر حسين لكن هذه الجمعيات كانت تنشأ ثم تنحل مع مرور الوقت.

وكانت هذه الجمعيات تهتم بالشعائر الإسلامية التعبدية المختلفة وتجريدها من البدع، والسعى لتنفيذها على النحو التى كانت عليه فى العصور الإسلامية الأولى فى عصر النبى محمد صلى الله عليه وسلم وعهد صحابته لاسيما الخلفاء الراشدين بشكل خاص، كما اهتم هذا التيار دائما بما تسميه الجماعات الإسلامية بالهدى الظاهر ويقصد به اتباع سنة النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فى الأمور المتعلقة بشكل الملابس وشعر الرأس واللحية بالنسبة للرجال والحجاب وعدم إظهار التزين بالنسبة للنساء، وفيما يلى سوف نتعرف على عدد من أبرز الجماعات والمجموعات التى مثلت هذا الاتجاه وما زالت موجودة وناشطة حتى الآن.

١- السلفية التقليدية

هذا التيار الذى نسميه بـ"السلفية التقليدية" برز بشكله الحالى فى منتصف السبعينات من القرن الماضى، وأتباع هذا الفصيل يطلقون على أنفسهم السلفيين، وهم لا تجمعهم منظمة محددة لكنهم يلتفون حول عدد من المشايخ ويتتلمذون عليهم ويمثل الشيخ منفردا هو ومجموعة تلاميذه كيانا مستقلا عن بقية المشايخ وتلاميذهم، ويتفاوت عدد التلاميذ من شيخ لآخر حسب نجاح الشيخ وشهرته في مجال الدعوة فهناك شيخ عدد أتباعه يقدر بعشرات الآلاف وهناك شيخ عدد أتباعه يقدر بالعشرات فقط، وأشهر مشايخ هذا التيار وأكثرهم شعبية الدكتور أسامة عبد العظيم أستاذ أصول الفقه بجامعة الأزهر والذى يزعم البعض أن أتباعه أكثر من مائة وخمسين ألفا منتشرين فى معظم محافظات مصر، وهو رقم كبير إذ قارناه بحجم مجموع أعضاء كل الأحزاب السياسية المعارضة فى مصر قبل الثورة، وتزداد أهمية هذا العدد من الأتباع إذا علمنا أن كل هذا العدد هم من النشطاء وليسوا مجرد مستمعين لشيخ. ويعتبر الشيخ محمد مصطفى الدبيسى بمثابة نائب للدكتور أسامة عبد العظيم وهو أهم مساعديه منذ نشأة هذا الفصيل، رغم أن هذا الفصيل لم يعلن عن هيكل تنظيمى محدد المعالم حتى الآن.

وهذا الفصيل عادة لا يشتغل بالسياسة ولا يتكلم فيها علنا ولا يتخذ مواقف سياسية علنية لكنهم قد يضطرون للكلام فى السياسة تحت ضغوط أتباعهم المقربين جدا ويكون ذلك فى جلسات سرية لخواص الأتباع ويقتصر كلامهم السياسى على شرح تصوراتهم للواقع السياسى ومشكلاته، وكانوا قبل الثورة المصرية يعتبرون هذا الكلام من الأسرار التي يكون من المحظور على الجميع إذاعتها خارج نطاق الذين حضروا هذه الجلسات السرية.

وتتلخص رؤية هذا الفصيل للتغيير السياسى والاجتماعى والاقتصادى فى تفسيرهم الخاص لقوله تعالى "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" فهم يرون أن الآية تشير إلى أن تغيير واقع الأمة الإسلامية إلى الأفضل لن يتم إلا عندما يغير كل مسلم نفسه وفق معايير الإسلام فيلتزم بتعاليمه ويؤثر فى من حوله من أهله وجيرانه وزملاء عمله فيغيروا هم أيضا أنفسهم بنفس الطريقة وبذا ينصلح حال الأمة من وجهة نظرهم، ومن أهم معايير الإسلام التى يسعون لتطبيقها فى الواقع تنقية الدين من البدع خاصة المرتبطة بالتصوف والأضرحة وكذلك منع المسلمين من الافتتان بالحضارة الغربية ومرتكزاتها الفكرية المخالفة للإسلام، ووسيلة التغيير عندهم

تنحصر فى الدعوة عبر خطب الجمعة والدروس الدينية فى المساجد بالإضافة إلى الدعوة الفردية وطبعا دخلت على الخط القنوات الفضائية ومواقع شبكة الإنترنت، وكان هذا الفصيل يقوم بدعوة الناس فى الشوارع للصلاة فى المسجد والاستماع لدروس المشايخ عندما كانت أجهزة الأمن تغض الطرف عن هذا فى فترة السبعينات من القرن الماضى لكنها توقفت عن هذا النشاط فى الثمانينات من القرن الماضى تحت ضغط الأمن.

ولم يشارك هذا الفصيل فى الثورة المصرية بسبب تقليديته وتحفظه فى مجال العمل السياسى.

٢- الدعوة السلفية

هذا الفصيل من السلفيين نشأ فى منتصف السبعينات أيضا على يد مجموعة من قادة الحركة الطلابية الإسلامية فى عدد من جامعات مصر لكن كان ثقلها الرئيسى فى جامعة الإسكندرية حيث قادها من هناك وإلى جميع أنحاء مصر محمد إسماعيل المقدم وسعيد عبد العظيم وأبو إدريس (محمد عبد الفتاح) وأحمد فريد وغيرهم، وكان من أبرز قادتها فى القاهرة حينئذ عبد الفتاح الزينى، وقد رفضوا الانضمام للإخوان المسلمين عام ١٩٧٨م وسموا أنفسهم «المدرسة السلفية» ورفضوا لفظ الأمير لاعتبارهم أنه يقتصر على إمارة

الدولة ولكن أطلقوا على قائدهم أبى إدريس لقب "قيم المدرسة السلفية" أسوة بالمدارس العلمية التى كانت قائمة فى عصور الازدهار فى التاريخ الإسلامى، واحتدم التنافس بين "المدرسة السلفية" والإخوان على ضم الشباب والسيطرة على المساجد، وعندما أصدرت المدرسة السلفية نهاية عام ١٩٧٩م سلسلة كتب دورية باسم "السلفيون يتحدثون" تندر عليهم بعض الإخوان بقولهم السلفيون يتحدثون والإخوان يجاهدون وكان الجهاد الأفغانى قد اندلع لتوه ضد السوفيت وكان الشائع حينئذ أن المجاهدين الأفغان هم من الإخوان المسلمين.

وظلت السلفية العلمية تطلق على نفسها اسم "المدرسة السلفية" لعدة سنوات لكنها سعيا لتطوير حركتها وإعطائها المزيد من الحركية زاد اهتمامهم بالعمل الجماهيرى وأطلقوا على منظمتهم اسم "الدعوة السلفية" وبذلك أصبح اسم "المدرسة السلفية" مجرد تاريخ.

و"الدعوة السلفية" منتشرة فى كل أنحاء مصر ولها أتباع كثيرون يقدرون بمئات الألوف ويطلق عليهم اختصارا اسم "السلفيين" لكنهم قبل الثورة لم يكونوا تنظيما هرميا متماسكا مثل الإخوان المسلمين بل يغلب عليهم التفرق لمجموعات يتبع كل منها شيخ من المشايخ لكن مشايخها كانوا

متعاونين بدرجة كبيرة جدا، ومن مشايخها المشهورين غير الذين ذكرناهم الدكتور محمد حسين العفانى والشيخ ياسر برهامى وغيرهم كثير جدا لكنهم بعد الثورة أسسوا مجلس إدارة لجماعتهم بات يطلق عليه مجلس إدارة الدعوة السلفية وبات أبو إدريس رئيسا له وياسر برهامى نائبا كما أسسوا جمعية خيرية تم تسجيلها بوزارة الشئون الاجتماعية وأسسوا «حزب النور» الذى خاض انتخابات مجلس الشعب وجاء الثانى فى ترتيب الأحزاب الحاصلة على مقاعد المجلس بنسبة ٢٥٪ تقريبا من نسبة المقاعد تاليا لحزب الحرية والعدالة الذى يمثل الذراع السياسى للإخوان المسلمين والذى حصل على نسبة ٤٧٪ من المقاعد.

ولكن امتناع الدعوة السلفية عن المشاركة فى الثورة وإصدارها لفتوى تحريم المشاركة فى المظاهرات قبل وأثناء الثورة مازالت نقطة سوداء فى تاريخ الدعوة السلفية السياسى.

٣- التيار السلفى العام أو السلفية العلمية

هناك العديد من المشايخ المستقلين بتلامذتهم ويطلق عليهم جميعا اسم السلفيين مثل المشايخ محمد حسان ومحمد حسين يعقوب وأبو إسحاق الحوينى ومصطفى العدوى ود. أحمد النقيب وغيرهم كثير.

وقبل الثورة لم تكن تظهر الاختلافات بين كل هؤلاء السلفيين لكن بعد الثورة أظهرت السياسة مثل هذه الخلافات فأبو إسحاق الحوينى ما زال رافضا للثورة ومتوجسا منها وأحمد النقيب لا يؤيد تعدد الأحزاب الإسلامية ويرى أنه كان يجب أن يلتف الإسلاميون جميعا بمختلف توجهاتهم حول حزب الإخوان المسلمين ومصطفى العدوى سحب موافقته على خوض الإسلاميين غمار العمل الحزبى ومحمد حسان أطلق فى مرات عدة تصريحات مؤيدة للمجلس العسكرى.

٤- السلفية الحركية

فى نفس الوقت الذى نشأت فيه السلفية العلمية والدعوة السلفية (منتصف السبعينات من القرن العشرين الميلادى) نشأ فى القاهرة رافد آخر من روافد السلفية بقيادة عدد من الدعاة الشباب حينذاك وكان أبرزهم فى ذلك الوقت الدكتور سيد العربى والدكتور محمد عبد المقصود والشيخ نشأت أحمد ولم يختلف هذا الرافد السلفى عن السلفية العلمية إلا فى شىء واحد وهو الإعلان عن كفر الحاكم الذى لا يحكم بالشريعة الإسلامية باسمه أيا كان اسمه، وقد انتشر هذا التيار مع الوقت وصار له أنصار وأتباع يقدرون بعشرات الآلاف لا سيما بعدما برزت شعبية بعض الدعاة الإسلاميين من هذا التيار

مثل الداعية ذائع الصيت فوزى السعيد، وقد أطلق بعض أتباع هذا التيار على أنفسهم اسم السلفية الحركية، ولكن المشايخ الكبار من هذا التيار لا يطلقون على أنفسهم أى اسم.

وقد تعرض هذا التيار لحصار أمنى شديد منذ عام ٢٠٠١م بسبب قيام عدد من رموزه بالإفتاء لعدد من الشباب بجواز جمع التبرعات وتهريبها إلى الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة، وجواز الانتقال لهذه الأراضى للمشاركة فى المقاومة المسلحة هناك، وعلى إثر ذلك قام هؤلاء الشباب بجمع عدة ملايين من الجنيهات كتبرعات وهربوها لغزة كما حاولوا التدرب على السلاح بهدف الانتقال لغزة عبر سيناء للمشاركة فى أعمال المقاومة المسلحة، وقد تم اعتقالهم جميعا كما اعتقل معهم اثنان من أبرز رموز هذا التيار وهما الشيخ نشأت أحمد والشيخ فوزى السعيد، وتم تقديمهم جميعا إلى محاكمة عسكرية بالقاهرة، وصدرت ضدهم أحكام متفاوتة لكن المحكمة برأت ساحة كل من الشيخين نشأت أحمد وفوزى السعيد، وتم الإفراج عنهما بعد عدة سنوات من الاعتقال.

وظل رموز هذا التيار ودعاته ممنوعون من التعبير عن آرائهم فى أى مكان سواء مساجد أو صحف أو فضائيات أو حتى فى جلسات خاصة، وقد خرق الشيخ نشأت أحمد هذا الحظر

وألقى موعظة دينية فى مناسبة عزاء فى فيلا أحد أقرباء أحد المتوفين وذلك تحت إلحاح أهل المتوفى فتم اعتقاله فى نفس الليلة عام ٢٠٠٧م وظل بالسجن عدة شهور قبل أن يفرج عنه بعد أخذ التعهدات عليه بعدم الكلام مرة أخرى فى أى مكان.

ويبدو أن التشدد الأمنى مع هذا التيار يأتى من مجاهرة هذا التيار بمعارضة الحاكم الذى لا يحكم بالشريعة تصريحا فى خطابهم الدعوى وتصريحهم بكفره، هذا رغم موقفهم الواضح برفض العمل المسلح أو إنشاء منظمات إسلامية سرية، لكن هذا التيار شارك فى الثورة المصرية ونزل مشايخه إلى ميدان التحرير بالقاهرة وحرضوا شباب هذا التيار على الاعتصام بالتحرير طوال أيام الثورة وأفتوا بوجوب ذلك، وبعد الثورة دفع د. محمد عبد المقصود بعض تلامذته لتأسيس «حزب الفضيلة» ولكن بعد نشوب العديد من الخلافات السياسية بين قادة هذا الحزب استقل هذا الحزب عن الارتباط بالشيخ محمد عبد المقصود ودفع محمد عبد المقصود تلامذة آخرين بزعامة عادل عبد المقصود عفيفى شقيق د. محمد عبد المقصود لتأسيس حزب سلفى آخر باسم «حزب الأصالة» وخاض الحزبان الانتخابات البرلمانية بعدد قليل من الأعضاء بسبب أن هذه الخلافات التى صاحبت نشأة كلا الحزبين قد عاقتهما عن التجهز المبكر للانتخابات.

٥- الجبهة السلفية:

تشكلت الجبهة السلفية بعد الثورة من مجموعة من السلفيين الذين ينتمون للسلفية الحركية وتبدو مواقفهم أكثر ثورية وأكثر تسيسا من سائر الفصائل السلفية ويأتى تكونها كمحاولة من مؤسسيها فى إيجاد تنظيم سلفى مسيس وثورى ومنظم يوازى فى ثقله تنظيم الدعوة السلفية الذى بات أكثر تنظيما وأكثر انخراطا فى العمل السياسى بعد الثورة، فالجبهة السلفية محاولة لجمع وتنظيم السلفيين المسيسين المختلفين مع الدعوة السلفية فى كيان واحد بصيغة الجبهة وليس التنظيم الموحد وجل قادة الجبهة من تلامذة مشايخ السلفية الحركية ولكن كثير منهم انحازوا فى عملهم السياسى لحزب الفضيلة بعد خلاف الأخير مع الدكتور محمد عبد المقصود، والجبهة فى محاولة لتوسيع دائرة عضويتها فإنها لا تعلن مساندتها لحزب محدد من الأحزاب السلفية بل وتعلن بأن من بين أعضائها أعضاء فى كل الأحزاب السلفية، ولم تبرز رموز معلنة أو قادة للجبهة سوى د. خالد سعيد المتحدث الرسمى باسمها، كما أن الجبهة السلفية تضم فى عضويتها أفرادا وكيانات سلفية على حد سواء لكن من الواضح أن الكيانات المنضمة إليها

هي كيانات صغيرة لا تنتمي لتنظيم الدعوة السلفية كما لا تمت بصلات تنظيمية قوية للكيان المنظم الوحيد الذى يمثل الدكتور محمد عبد المقصود وهو حزب الأصالة وإن كان رموز الجبهة يقولون إن من بين أعضاء الجبهة أعضاء فى حزب الأصالة ولكن حتى لو كان هذا صحيحا فإنهم سيكونون أعضاء ثانويين فى هذا الحزب .

وعلى كل حال فالجبهة رغم أن لها أنصارا فى أكثر من عشر محافظات بما فيها القاهرة إلا أنه من الواضح أن عدد أنصارها ليس كبيرا فلا تضاهى الدعوة السلفية أو تلامذة محمد عبد المقصود عددا .

٦-الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح

نشأت الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح بعد الثورة بأهداف معلنة هى :

-البحث في القضايا والمستجدات المعاصرة، بما يساعد على حماية الحريات والحقوق المشروعة وتحقيق العدالة الاجتماعية .

-إيجاد مرجعية راشدة تُحْيِي وظيفة العلماء والحكماء فى الأمة، لمعاونة أهل الحل والعقد فى تدعيم الحريات وتحقيق الإصلاح.

-العمل على وحدة الصف وجمع الكلمة، وتقديم الحلول الشرعية للمشكلات المعاصرة وفقا لمنهج الوسطية النابع من عقيدة أهل السنة والجماعة.

- حماية الحريات الإنسانية، والحقوق الشرعية.

-التنسيق مع مختلف القوى والمؤسسات الإسلامية والشعبية لتحقيق الأهداف المشتركة، وترسيخ القيم الإسلامية فى الحياة المعاصرة بما يعيد بناء الإنسان وتنميته لإحداث نهضة حضارية شاملة.

واشترط منشئوها أن تصبح هيئتها التأسيسية مغلقة على المؤسسين وصار لا يمكن لأى أحد أن ينضم للمؤسسين ويكون له حق التصويت فى قراراتها إلا إذا أجاز المؤسسون ذلك لكل حالة على حدة، كما أنه من الملاحظ أن الذين أسسوا هذه الهيئة وهيمنوا عليها هم فصيل سلفى محدد وهذا الفصيل لا يمثله فى مصر سوى مجموعة صغيرة تتركز أغلبها فى محافظة البحيرة وهى مرتبطة فكريا بالمجموعة السلفية الموجودة فى السعودية وفى لندن وتصدر مجلة «البيان» الإسلامية السياسية الشهرية وتصدر تقريراً إستراتيجياً إسلامياً سنوياً كما تصدر العديد من الكتب الإسلامية السياسية والدعوية إما عبر مقر مجلة البيان فى الرياض أو عبر المركز العربى للدراسات

الإنسانية بالقاهرة، وهذه المجموعة تتميز باهتماماتها السياسية الواسعة(٣٢).

وعندما تأسست هذه الهيئة اشترط مؤسسوها أن كل من ينضم إليها هم الأفراد وبصفتهم الشخصية لا التنظيمية ولا الحزبية، وتم ضم العديد قادة ورموز العمل الإسلامى من كافة الاتجاهات من الإخوان المسلمين ومن الجماعة الإسلامية ومن الأزهر الشريف ولكن أغلب المنضمين هم من الرموز السلفية، والمسيطر الرئيس على العمل اليومى للهيئة هو أمينها العام د. محمد يسرى إبراهيم وفى البداية تم اختيار د. نصر فريد واصل مفتى مصر السابق رئيسا لكن بعد عدة شهور من التأسيس اختفى د. واصل من الصورة وبدأت بيانات الهيئة تصدر مذيلة باسم د. على السالوس.

ورغم أن الهيئة ضمت رموزا من كافة التيارات والجماعات إلا أنهم يشاركون بصفتهم الشخصية ويوقعون على بيانات الهيئة بهذه الصفة الشخصية وحاولت قيادة الهيئة الهيمنة – عبر البيانات السياسية– على المواقف السياسية للحركات الإسلامية المختلفة من منطلق أن من بين أعضائها قادة من كل الحركات الإسلامية لكن الحركات الإسلامية واجهت هذا الأسلوب بالقول بأن أعضاء الهيئة من كل جماعة إنما

يشتركون بصفتهم الشخصية، ومن هنا فالهيئة وإن حاولت الهيمنة على المشهد الإسلامي السياسي والدعوى في مصر عبر ضم رموز من كافة الاتجاهات فإنها فشلت في ذلك ليس فقط لأن كل حركة إسلامية لها أولوياتها وحساباتها السياسية وتعى جيدا دورها فى الحياة السياسية والدعوية ولكن أيضا لأن الأساليب التى اعتمدت عليها الهيئة لتحقيق ذلك هى أساليب قاصرة وبدائية جدا.

ولكن على كل حال فقد نجحت المجموعة التى شكلت الهيئة فى استمرار سيطرتها عليها عبر قفل باب العضوية الكاملة على المؤسسين فقط ولا يضمون لهذه المجموعة إلا من يشاءون.

إستراتيجية السلفيين

أبرز إستراتيجية معلنة للسلفيين وأدقها هى التى طرحها الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى (رحمه الله) فى عدد من محاضراته وكتبه وتتلخص فى أن ما لحق بالمسلمين من تدهور حضارى سببه الأحاديث الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات والآراء الفقهية التى تخالف الحديث الصحيح وبالتالى فالتغيير الإسلامى (حسب رأى الألبانى) لا بد من أن يمر بالمراحل التالية:

أولا- التصفية : وهى أن يقوم علماء المسلمين بتنقية الكتب الشرعية كلها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات والآراء الفقهية التى تخالف الحديث الصحيح .

ثانيا- التربية : حيث يتم دعوة وتربية أغلبية المسلمين على هذه الكتب الصافية من أى أخطاء .

والشيخ الألبانى هو سورى من أصل ألبانى وهو من أكبر علماء الحديث النبوى الشريف فى عالمنا المعاصر ، وقد تتلمذ عليه وعلى بعض تلاميذه عدد من كبار مشايخ الدعوة السلفية فى مصر ، وقد توفى فى الأردن مطلع القرن الواحد والعشرين .

ورغم أن السلفيين يتبنون إستراتيجية الألبانى هذه بشكل صريح تارة وبشكل ضمنى تارة أخرى لكنهم لم يضعوا تكتيكات محددة ومتكاملة لتنفيذها ، كما لم يتبع السلفيون أى خطط أو أساليب موضوعية محددة لتنفيذ هذه الإستراتيجية عمليا ، ثم جاءت الثورة المصرية لتملى على السلفيين خطابا جديدا عن الحريات والحكم الديمقراطى والعمل الحزبى بما يخلق التباسا ويدعو لتأمل ودراسة عميقة لحقيقة الفكر الإستراتيجى السلفى وهذا ما لا يتسع له هذا الكتاب الصغير .

الفرق بين السلفيين والجماعات الإسلامية الأخرى

ورغم أن "السلفيين" مثلهم مثل بقية تيارات الحركة الإسلامية ترى وجوب رجوع المسلمين إلى الالتزام بتعاليم الإسلام وفقا لمنهج السلف الصالح فإنهم أكثر حرفية والتزاما بذلك وأقل اجتهادا وتجديدا فيه، ويفرق بينهم وبين الإخوان المسلمين رفضهم للتصوف وآراء الأشاعرة والمعتزلة والشيعة التي ترك الإمام حسن البنا الباب مواربا لها بهدف لم شمل المسلمين، كما يفرقهم عن الجهاد والقاعدة رفضهم للعمل المسلح والتنظيمات السرية.

الانتقادات العلمانية للسلفيين

لقد وجه العديد من الكتاب العلمانيين والليبرالين النقد للسلفيين المصريين بسبب عدم مشاركتهم فى النضال السياسى المعارض لنظام الحكم قبل الثورة وكذلك بسبب تركيزهم فى وعظهم على أمور اليوم الآخر وعلى أمور العبادات ومظاهر الإنسان من ملابس ولحية وحجاب ونحو ذلك مع عدم التركيز على أحكام المعاملات الاجتماعية والاقتصادية فى الإسلام لا سيما أنه لو ركز مشايخ السلفية على الوعظ فى هذه المجالات فإن ذلك سيكون له مردود مهم وجيد على المجتمع وقضية الإصلاح بأسرها، إلا أن هذا النقد رغم وجاهته فإن فيه مغالطتين:

الأولى : أن عزوف مشايخ السلفية عن الكلام والوعظ فى هذا المجال ليس عاما فإن منهم من يطرق هذا الاتجاه ويتكلم فيه من حين إلى آخر بل ويتكلم فى العديد من الشئون السياسية مثل الشيخ أبى إسحاق الحوينى والشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل وغيرهما.

الثانية : أن عدم تكلم السلفيين فى هذه المجالات ليس موقفا فكريا أو عقائديا راسخا بل هو مجرد تقدير لهامش الحرية الذى كان متاحا قبل الثورة وكان نوعاً من الحذر من التورط فى مشكلات مع نظام الحكم من ناحية ومن ناحية أخرى عدم وعى بأولويات العمل الدعوى وعدم الوعى هذا من المنتظر أن يتغير مع مرور الوقت عبر النضج الذى ستولده التجارب الدعوية للسلفيين لا سيما بعد تجربتهم العريضة فى القنوات الفضائية وشبكة الإنترنت، بجانب متابعتهم طبعا للنقد الذى يوجه إليهم لا سيما بعد الثورة وانخراطهم فى العمل العام والعمل السياسى.

إن النقد الذى يوجه للسلفيين بشأن عدم تركيزهم على قضية المعاملات الاجتماعية والاقتصادية وقضايا الإصلاح السياسى جيد لو ظل فى هذا الإطار وهو جدير بالمناقشة فى هذا الإطار أيضا، وسرعان ما سيتجاوب معه السلفيون بمرور

الوقت لكنه لو خرج عن هذا الإطار إلى إطار آخر يهدف لحذف الأحكام الفقهية الخاصة بالمظاهر الخارجية للمسلم أو المسلمة من حجاب أو لحية أو نقاب ، وكذلك حذف أو إهمال أحكام الفقه الخاصة بالعبادات كصلاة وصيام وزكاة وغيرها من منطلق أن الأمة تواجه تحديات ومشكلات كبرى أهم من ذلك فإن هذا النقاش أو النقد في هذه الحالة سيلقى كل إهمال وتجاهل من التيار السلفي لسبب بسيط جدا هو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم واجه تحديات أكبر من هذه ولم يتخل عن أي من هذه الأحكام بل شرع الصلاة في وقت احتدام القتال واشتباك الجيوش رغم أن الإسلام في بعض المعارك كان مهددا بالزوال بدليل قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة بدر: "اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد في الأرض" .

الهوامش

(١١) انظر : د. مصطفى حلمى، قواعد المنهج السلفى فى الفكر الإسلامى، ط دار ابن الجوزى، القاهرة ٢٠٠٥م، الطبعة الثالثة، ص٣٢-٣٣.

(١٢) علاء الدين كمال، محاضرات فى السلفية، ط دار فجر للتراث، شبين الكوم (مصر) ١٩٩٠م، الأولى، ص ٢٢-٢٣.

(١٣) انظر علاء الدين كمال، مرجع سابق، ص٢٣-٢٤.

(١٤) نفس المرجع، ص ٢٥.

(١٥) محمد إسماعيل المقدم، تمام المنة فى الرد على أعداء السنة، نقلا عن: علاء الدين كمال، مرجع سابق، ص٢٥- ٢٦.

(١٦) د. عبد المنعم الحفنى، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ط دار الرشاد، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٣م، ص ٢٤٦.

(١٧) د.عبد المنعم الحفنى، المرجع السابق، ص٢٤٧.

(١٨) انظر على سبيل المثال لا الحصر: محمد ناصر الدين الألبانى، منزلة السنة فى الإسلام وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن، ط دار العلم، بنها (مصر) ١٩٨١م، الطبعة الرابعة. ويلاحظ أن هذه القضية لا يختلف فيها السلفيون عن غيرهم من المذاهب الإسلامية وعلى رأسها علماء الأزهر الشريف، راجع على سبيل المثال: د. موسى شاهين لاشين (نائب رئيس جامعة الأزهر سابقا)، السنة ومنزلتها فى التشريع، ط

مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، القاهرة، هدية مجلة الأزهر عدد شعبان ١٤١١هـ. وأيضا: د. رؤوف شلبى (وكيل الأزهر سابقا)، الإمام البخارى ومدرسته الحديثية، ط مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف، القاهرة، د.ت.

(١٩) حديث الآحاد هو نوع من أنواع الحديث حيث قسم علماء الحديث الأحاديث إلى عدة أنواع باعتبارات عديدة بهدف تحرى الدقة فى تقييم مدى قوة وصحة كل حديث وتحديد درجته بناء على ذلك، وينقسم الحديث من حيث عدد رواته فى كل جيل رواه إلى متواتر وآحاد، فالمتواتر ما رواه عدد كبير يصعب حصره فى كل جيل وهذا النوع يعتبر ثابتا يقينا وقد تم نقل القرآن إلينا بهذه الطريقة، والآحاد ما رواه عدد محدد من الرواة فى كل جيل أو فى أحد الأجيال، وله أقسام عدة وهذا النوع (الآحاد) هو الذى يخضع للنقد والتحقيق والدراسة وفقا لمناهج بحث علم الحديث للتحقق من مدى صحته أو مدى ضعفه، بعكس المتواتر الذى يعتبر صحيح يقينا، لمزيد من التفصيل راجع: د. محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، ط مركز الهدى للدراسات، الاسكندرية ١٤١٥هـ، ص ٢١- ٢٩.

(٢٠) انظر على سبيل المثال: محمد ناصر الدين الألبانى، وجوب الأخذ بحديث الآحاد فى العقائد والرد على شبه المخالفين، ط الدار السلفية، الكويت، د. ت.

(٢١) عبد الرحمن عبد الخالق، الأصول العلمية للدعوة السلفية، دار الطباعة المحمدية، القاهرة د. ت، ص ١٠ وما بعدها، وانظر أيضا: عبد الرحمن عبد الخالق، الكتاب والسنة عقيدة ومنهجا، د. ت، ص ١-١٣.

(٢٢) راجع : محمد ناصر الدين الألبانى ، التوحيد أولا يا دعاة الإسلام ، ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، الرياض٢٠٠١ . الكتاب كله وبصفة خاصة ص ٣٤-٤٠ . وكان السلفيون وكذلك الجهاديون فى مصر وأكثر الدول الإسلامية يحرمون دخول الانتخابات البرلمانية .

(٢٣) للاطلاع على قدر من تفاصيل العقيدة الإسلامية بالمفهوم السلفى راجع :محمد ناصر الدين الألبانى ، العقيدة الطحاوية شرح وتعليق ، ط المكتب الإسلامى ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٧٨م ، وانظر فيه بصفة خاصة ص ١٧-٢٢ . وقد ألف الألبانى نفسه عدة كتب نصر بها العقيدة السلفية منها كتابان ترتكز على مفاهيمهما المعركة السلفية مع الإرث الصوفى وهما : التوسل أنواعه وأقسامه ، وتحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ، وطبعا الألبانى لم يبتدع هذه المفاهيم بل أعاد تقديمها اعتمادا على مراجع أساسية من كتب السلف ، وطبعا سبقه لذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابات كثيرة جدا مثل قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وغيرهما من المراجع .

(٢٤) حول فكرة عامة عن عقيدة أهل السنة بجميع مذاهبهم الفقهية راجع : ابن أبى العز الحنفى ، تحقيق مجموعة من العلماء وحقق أحاديثه محمد ناصر الدين الألبانى ، شرح العقيدة الطحاوية ، ط دار إحياء السنة ، الإسكندرية ، د.ت . وحول أهميته ضمن مناهج التثقيف الدينى لدى السلفيين راجع : منهج الدعوة الإسلامية الشامل للعوام والدعاة والمدرسين ، من مطبوعات المدرسة السلفية ومكتبة ابن تيمية بالقاهرة ،

سلسة نحو منهج السلف، ص ٢٥-٢٦ . وحول عدم تقديس السلفين لكتب محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وغيرهم رغم توصيتهم أبناء التيار السلفى بدراستها انظر: نفس المرجع، ص ٢١-٢٢ .

(٢٥) عبد الرحمن عبد الخالق، الأصول العلمية للدعوة السلفية، م. س.، ص١٧ .

(٢٦) فى معنى التقليد انظر: محمد بن على بن محمد الشوكانى، تحقيق أحمد عزو عناية، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ط دار الكتاب العربى، الطبعة الأولى، دمشق ١٩٩٩م، جـ٢ ص٢٣٩-٢٤٠ . وحول تحريم السلفيين للتقليد وإيجابهم للاتباع انظر: عبد الرحمن عبد الخالق، الأصول العلمية للدعوة السلفية، م.س، ص ١٩ وما بعدها .

(٢٧) عبدالرحمن عبد الخالق، .المرجع السابق، ص٢٢ وما بعدها، علاء الدين كمال، م. س، ص٤٣ وما بعدها .

(٢٨) نفس المرجعين السابقين، نفس الصفحات .

(٢٩) انظر على سبيل المثال: محمد سلطان المعصومى، تحقيق: سليم الهلالى، هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين من المذاهب الأربعة؟، ط مكتبة التوعية الاسلامية، القاهرة ١٤٠٥هـ، الطبعة الثانية . وقد أصدر السلفيون فى مصر بحثا يضم كل آرائهم فى مجالى التقليد والاتباع ضمن سلسة "السلفيون يتحدثون" وهو الكتاب السابع فى هذه السلسلة، بعنوان "أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها .. من مباحث أضواء البيان" وهو من تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى وقد تم طبعه بالقاهرة عام ١٤٠٠هـ، د. ن .

(٣٠) حول الفهم السلفي لهذه الشمولية بأبعادها الثلاثة انظر: د. مصطفى حلمي، قواعد المنهج السلفي، م. س. ذ، ص٢٢٩ وما بعدها. وعلاء الدين كمال، م.س.، ص ٤٩ وما بعدها.

(٣١) راجع هذه النقطة من وجهة نظر سلفية بتوسع مفيد في: محمد أحمد إسماعيل، تبصير أولي الألباب ببدعة تقسيم الدين إلى قشر ولباب، ط مكتبة الفرقان، القاهرة، د. ت.

(٣٢) ويلاحظ أن الاسم متأثر باللغة السياسية في الحركة الإسلامية السعودية حيث تأسس أكثر من كيان إسلامي باسم الهيئة الشرعية للدفاع عن الحقوق ونحو ذلك، والاسم غير متناسب مع اللغة السياسية في مصر وبالتالي فهو ثقيل على السمع المصري العام وغريب بدرجة ما رغم أنه متداول في الإعلام المصري منذ نحو عام.

حزب الله

فى عام ١٩٨٠م أنشأ أحمد طارق المعيد بكلية التجارة بجامعة الأزهر بالاشتراك مع الشيخ (محجوب. م) وآخرين جماعة إسلامية صغيرة وأطلقوا عليها اسم "حزب الله" وكان الشيخ محجوب[٣٣] قد حاول قبل إنشاء هذه الجماعة أن يوفق بين عدد من الجماعات الإسلامية الموجودة فى الساحة المصرية ويدمجها كلها فى جماعة واحدة لكنه فشل، فلجأ مع أحمد طارق لإنشاء هذه الجماعة الجديدة التى كانت ذات ميول جهادية، حتى أن الشيخ محجوب كان ضيفا شبه دائم على الندوات الفكرية والفقهية التى كان ينظمها تنظيم الجهاد فى عدد من المساجد التابعة للتنظيم فى هذه الفترة.

وانحصر عمل هذا الحزب فى موطن أحمد طارق والشيخ محجوب وهو مدينة الإسكندرية وتحديدا فى حى الحضرة بالإسكندرية وذلك من خلال مسجد هناك اسمه "مسجد المجاهدين"، وقد كان نشاط الجماعة ينحصر فى الأعمال الدعوية والندوات العلمية الفقهية والسياسية بالمسجد.

وقد اعتقل الشيخ محجوب وغيره من مؤسسى الحزب إثر اغتيال السادات فى أكتوبر ١٩٨١م، وأطلق سراحهم بعد عدة شهور قضوها فى السجن.

واستمر وانتعش نشاط الحزب فى الإسكندرية من منتصف الثمانينات وحتى عام ١٩٨٩م عندما لقى أحمد طارق مصرعه فى حادث سير تعرضت له سيارته، وحدث نزاع حينئذ بين قادة الحزب حول من سيخلف أحمد طارق كقائد عام للحزب.

وكان الشيخ محجوب قد ابتعد عن أنشطة الحزب قبل مصرع أحمد طارق بسنوات.

وتمخض الصراع على القيادة داخل الحزب إلى انقسام الحزب إلى جناحين:

الأول: حمل اسم "حزب الله" واستمر فى العمل بنفس الطريقة، وإن كان غياب كاريزما أحمد طارق قد أضعفه، فضلا عن الضعف الذى أحدثه الانشقاق نفسه، وقد حدث بينه وبين تنظيم الجهاد تعاون دعوى بشكل غير مباشر منذ ١٩٩١م وحتى ١٩٩٣م.

المجموعة الثانية: انشقت عن الحزب نهائيا وانضمت لتنظيم الجهاد.

و من أهم أدبيات الحزب كتابان:

الأول عن "وجوب العمل الجماعى".

والثانى عن "العذر بالجهل" ويتضمن ترجيح كفر كل من ارتكب عملا كفريا وهو جاهل بكون هذا العمل من الكفر، وهم بذلك يختلفون فى هذه المسألة مع الإخوان المسلمين والسلفية العلمية والسلفية التقليدية والجماعة الإسلامية وأغلب تنظيم الجهاد، ويتفقون مع القطبيين والشوقيين.

وظل "حزب الله" فى أفضل أحواله لا يضم سوى بضع مئات من الأعضاء وظل نشاطه محصورا فى الإسكندرية وحدها، ولكنه بسبب علاقات تعاونية دعوية غير مباشرة نشأت بين الحزب وبين مجموعة تابعة لتنظيم الجهاد تم اعتقال عدد من قادته ضمن قضايا تنظيم الجهاد عام ١٩٩٣م وظلوا فى السجن لعدة سنوات وبعدها خرجوا من السجن، ولكن أجهزة الأمن لم تسمح لهم بعد ذلك بالقيام بأى نشاط منذئذ حتى قيام الثورة المصرية.

الهوامش

(٣٣) وهو شاعر متميز ودارس جيد لعلوم اللغة العربية والفقه الإسلامي.

الجماعة الإسلامية

كانت الجماعة الإسلامية قد تكونت كحركة طلابية في منتصف السبعينات من القرن الماضي داخل جامعة أسيوط مثلها مثل سائر الحركات الطلابية التي تكونت في كل جامعات مصر في هذه الفترة وقد تشكلت الجماعة في أسيوط على أيدى مجموعة من الطلاب كان أبرزهم أبو العلا ماضي ومحيي الدين عيسى وصلاح هاشم وكرم زهدى وناجح إبراهيم ورفاعي طه وأسامة حافظ، وفي ١٩٧٨م عرض الإخوان على كافة الجماعات الإسلامية بكافة الجامعات الانضمام لجماعة الإخوان المسلمين فاستجاب البعض ورفض البعض وكان ممن استجاب وانضم للإخوان المسلمين أبو العلا ماضي ومحيي الدين عيسى وممن رفض الانضمام للإخوان المسلمين كرم زهدى وناجح إبراهيم ورفاعي طه وصلاح هاشم وأسامة حافظ ومعهم أغلبية الجماعة الإسلامية بجامعة أسيوط.

ومنذ أن عرض محمد عبد السلام فرج عليهم فكر وإستراتيجية الجهاد عام ١٩٨٠م تبنت الجماعة الإسلامية

بقيادة كرم زهدى إستراتيجية جماعة الجهاد لكنها لم تتبلور عندها أساليب عسكرية تفصيلية.

واشتهرت الجماعة الإسلامية باستعمال القوة فى تغيير ما اعتبرته من المنكرات المخالفة لتعاليم الإسلام فى المجتمع، مثل منع اختلاط النساء بالرجال وشرب الخمر وحفلات الموسيقى والأفراح والمسرحيات أو عروض الأفلام ونحو ذلك، كما مارست نوعا من السيطرة في المدن والريف كلما سنحت لها الفرصة فهاجمت شقق الدعارة وتجار المخدرات كما أرغموا النصابين على إرجاع الأموال لأصحابها كلما سنحت الفرصة لهم، وأثار ذلك حنق الحكومة عليهم لأن الحكومة شعرت أن هذا إلغاء لها ولسيطرتها على المجتمع لصالح اتساع نفوذ الجماعة الإسلامية، ووجهت للجماعة الإسلامية ضربات أمنية إجهاضية متتابعة.

وقد وجه السلفيون والإخوان والجهاديون اللوم للجماعة الإسلامية بسبب هذه الممارسات لأسباب مختلفة.

وبسبب أساليب الجماعة الإسلامية هذه فقد قامت بالآلاف من الأحداث المسلحة أو شبه المسلحة الصغيرة والكبيرة على حد سواء وكان أشهرها الصدامات مع قوات الشرطة فى مناسبات مختلفة فى الصعيد بدءا من عام ١٩٨٦م وحتى

١٩٩٧م، وشملت هذه الأعمال مهاجمة أفراد وقيادات شرطية وسائحين بأسلحة بيضاء أو أسلحة نارية، كما اصطدموا بقوات الشرطة فى حى عين شمس بالقاهرة عام ١٩٨٨م، وكذلك فى حى إمبابة بمحافظة الجيزة فى عامى ١٩٩٠م و١٩٩٢م، كما حاولوا تفجير سيارة ملغومة يقودها أحد أعضاء الجماعة فى موكب وزير الداخلية آنذاك زكى بدر بالقاهرة ولكن المتفجرات لم تنفجر لوجود عددا من الأعطال الفنية بها (١٩٩٠م)، كما اغتالوا عدد من كبار ضباط مباحث أمن الدولة بالقاهرة والصعيد ولكن الأغلبية كانت فى الصعيد مركز ثقل الجماعة، كما شنوا فى عام ١٩٩٤م حملة ضد عدد من البنوك بالقاهرة والجيزة عبر بث شحنات ناسفة ضعيفة أمام هذه البنوك لترهيب الناس من التعامل معها، وفى عام ١٩٩٥م حاولت مجموعة من أعضاء الجماعة الإسلامية اغتيال الرئيس المصرى حسنى مبارك فى أديس أبابا عاصمة أثيوبيا أثناء توجهه لحضور اجتماع القمة الإفريقية لكن العملية فشلت بسبب أن الرئيس كان يستقل سيارته المصفحة بينما استخدم المهاجمون فى العملية بنادق الكلاشنكوف فقط ولم يستخدموا أى أسلحة مضادة للدروع.

لكن حملتهم الأعنف والأعلى صوتا كانت ضد السائحين فى مختلف محافظات مصر، وكان آخرها عملية معبد حتشبسوت بالأقصر عام ١٩٩٧م وكما كانت هى الأخيرة فقد كانت هى الأعنف حيث قتل فيها ٥٨ سائحا أجنبيا.

وقد أطلقت الجماعة الإسلامية ما أسمته مبادرة وقف العنف عام ١٩٩٧م، وترتب عليها أن تراجعت الجماعة الإسلامية عن فكرها السابق وصارت تؤيد الحكومة بشكل أو بآخر كما أصدرت عشرات الكتب ترد فيها على أطروحاتها الفكرية السابقة التى كانت تؤيد العمل المسلح ضد الحكومة، وصارت الجماعة الإسلامية تعلن أنها أصبحت جماعة دعوية فقط لكن منتقديها اعتبروا أن طرحها الجديد يجر شباب الحركات الإسلامية بعيدا عن العمل السياسى مما يعطل ويضعف الحركات الإسلامية ذات التوجه السياسى واعتبر هؤلاء المنتقدون أن هذا فى حد ذاته هو عمل سياسى بامتياز يصب فى مصلحة الحكومة.

وعندما اندلعت الثورة المصرية شارك المئات من أعضاء الجماعة الإسلامية بصفة شخصية ولكن قيادة الجماعة ظلت متحفظة على المشاركة وبعد نجاح الثورة حدث خلاف بين قادة الجماعة الذين ظلوا على تحفظهم وحذرهم من العمل السياسى

المعارض لنظام الحكم وكان على رأس هؤلاء كرم زهدى وناجح إبراهيم وبين القادة الذين يريدون للجماعة أن تلعب دورا سياسيا مستقلا عن النظام الحاكم مع الإبقاء على التزام الجماعة بعدم استخدام العنف وكان على رأس هذا الفريق عصام دربالة وصفوت عبد الغنى، وتمخض الخلاف عن إجراء انتخابات لاختيار مجلس شورى جديد للجماعة وأسفرت الانتخابات عن فوز فريق عصام دربالة بكل مقاعد مجلس الشورى الـ ١٢ سوى مقعد واحد فاز به ناجح إبراهيم.

وأسست الجماعة حزب البناء والتنمية وخاض الانتخابات البرلمانية فى إطار تحالف مع النور والأصالة و فازوا بستة عشر مقعداً بمجلس الشعب على قوائم النور.

حزب التحرير

أسس حزب التحرير تقى الدين إبراهيم النبهانى، الذى ولد بقرية "إجزم" من قرى حيفا بفلسطين سنة ١٩٠٩م، وقد تنقل بين الأردن وسوريا ولبنان إلى أن كانت وفاته فى بيروت أواخر عام ١٩٧٧م .

تلقى النبهانى دراسته الابتدائية فى مدرسة القرية، ثم غادر إلى مصر للدراسة فى الجامع الأزهر فأتم دراسته به، وحصل على الشهادة العالمية، ثم انتسب إلى دار العلوم فى القاهرة وبعد أن حصل على شهادة دار العلوم عاد إلى فلسطين.

عمل النبهانى مدرسا فى حيفا بالخليل، ثم التحق بسلك القضاء الشرعى، وتدرج فى الوظائف حتى عام ١٩٤٨ م. حين غادر فلسطين إبان النكبة إلى بيروت حيث استقرت أسرته.

وعلى إثر إلحاق الضفة الغربية بالمملكة الأردنية عام ١٩٥٠م. عين النبهانى عضوا فى محكمة الاستئناف الشرعية فى بيت المقدس، ثم استقال من عمله فى سلك القضاء الشرعى وعمل مدرسا فى الكلية الإسلامية بعمان.

واستقال النبهانى من منصبه وتفرغ لقيادة حزب التحرير الذى أسسه عام ١٩٥٣ م.

ويعرف حزب التحرير نفسه فى نشرة بتاريخ ٢٦ / ٦ / ١٩٧٠ م تحت عنوان "جواب سؤال" :

"إن حزب التحرير وهو حزب إسلامى من حيث مبدئه، ليس حزبا إسلاميا كالتكتّلات الإسلامية، فهو لا يعلّم الناس الإسلام ولا يدعو المسلمين للإسلام، ولا يعظ الناس بالإسلام، فالإسلام مبدؤه وليس عمله، والإسلام أساسه وليس صفته، فهو يتولى السلطة حين يتاح له أن يتولأها ليرعى شؤون الناس فعلا، ويحاسب السلطة فى جميع الأحيان سواء أكان فى الحكم أو خارج الحكم، فعمله كلّه محصورٌ بالسياسة، إمّا عمليا بمباشرتها وإمّا نظريًا بمحاسبة الحكّام على أساس الإسلام".

وجاء فى التعريف بالحزب فى كتاب "مفاهيم حزب التحرير" :

"يجب أن تكون الكتلة التى تحملُ الدعوة الإسلامية كتلة سياسية، ولا يجوز أن تكون كتلة روحية، ولا كتلة أخلاقية، ولا كتلة علمية، ولا كتلة تعليمية، ولا شيئا من ذلك ولا ما يشبهه، بل يجب أن تكون كتلة سياسية، ومن هنا كان حزب

التحرير - وهو حزب إسلامي - حزبا سياسيا، يشتغل بالسياسة، ويعمل بها لأنه يثقّف الأمة ثقافة إسلامية تبرز فيها الناحية السياسية".

وفي موقعه على الإنترنت حدد حزب التحرير أهدافه، في عدة نقاط هي:

أ - استئناف الحياة الإسلامية، وحمل الدعوة الإسلامية إلى العالم.

وهذه الغاية تعني - بالنسبة لحزب التحرير - إعادة المسلمين إلى العيش عيشاً إسلامياً في دار إسلام، وفي مجتمع إسلامي.

ب - والحزب يهدف إلى إنهاض الأمة النهضة الصحيحة، بالفكر المستنير، ويسعى إلى أن يعيدها إلى سابق عزّها ومجدها، بحيث تنتزع زمام المبادرة من الدول والأمم والشعوب، وتعود الدولة الأولى في العالم، كما كانت في السابق، تسوسه وفق أحكام الإسلام.

ج - كما يهدف إلى هداية البشرية، وإلى قيادة الأمة للصراع مع الكفر وأنظمته وأفكاره، حتى يعم الإسلام الأرض.

ويلاحظ أن الحزب يربط كل شيء بقيام الدولة الإسلامية التي هي دولة الخلافة ولا يرى أن هناك مجالاً للعمل الإسلامي الشامل إلا من خلالها فعلى سبيل المثال يقول

الحزب فى نشرة "جواب سؤال" التى صدرت بتاريخ ١٣ / ٣ / ١٩٧٦م: "ولهذا فإن الجمعيات الخيرية كلها، سواء أكانت لبناء المساجد، أو لتعليم الناس، أو لإطعام الفقراء، أو ما شابه ذلك، فهذا كله حرام، ولا يجوز، لأن الشارع قد حصر رعاية الشؤون فى الدولة..، ويجب أن يفرق بين فعل الخيرات التى أمر الإسلام بها، وبين رعاية الشؤون فى فعل الخيرات، ففعل الخيرات جائز ويثاب عليه، أما رعاية الشؤون فلا يحل لمسلم أن يقوم بها، وتعاقب الدولة كل من يقوم بها، لأنه اعتدى على صلاحياتها، فضلا عن أنه فعل فعلا حراما".

ومنهج التغيير فى رؤية حزب التحرير يتلخص فى أن المسلمين اليوم، يعيشون فى دار كفر، لأنهم يُحكمون بغير ما أنزل الله، ومن ثم فإن دارهم تشبه مكة حين بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك يجب أن يكون النمط المكى فى حمل الدعوة هو أسلوب العمل لأن من تتبع سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فى مكة حتى أقام الدولة فى المدينة تبين أنه مرّ فى مراحل بارزة المعالم، كان يقوم فيها بأعمال معينة بارزة.. فأخذ الحزب من ذلك طريقته.

وبناء على ذلك حدد الحزب طريقة سيره بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة التثقيف لإيجاد أشخاص مؤمنين بفكرة الحزب وطريقته لتكوين الكتلة الحزبية.

المرحلة الثانية: مرحلة التفاعل مع الأمة، لتحميلها الإسلام، حتى تتخذه قضية لها، كى تعمل على إيجاده فى واقع الحياة.

وتمثل هاتان المرحلتان العهد المكى من تاريخ الدعوة الإسلامية.

الثالثة: مرحلة استلام الحكم، وتطبيق الإسلام تطبيقاً عاماً شاملاً، وحمله رسالة إلى العالم.

وتتم المرحلة الأخيرة وهى استلام الحكم عبر ما يسميه الحزب بطلب النصرة حيث يطلب الحزب النصرة من إحدى القوى التى تمسك بزمام الحكم أو التى تملك قوة تمكنها من حيازة الحكم، وباستجابة هذه القوة وتسليمها الحكم للحزب يكون الحزب قد وصل لغايته من إقامة دولة الخلافة.

وحزب التحرير "لا يقبل التعاون مع (الحكام) لإيجاد إصلاح اقتصادى أو تعليمى أو اجتماعى أو خلقى لأنه يرى فى ذلك إعانة للظالمين وتثبيتا لهم وإطالة لعمر أنظمتهم الفاسدة والكافرة (حسب رأى الحزب) بل يعمل الحزب على قلعهم وقلع أنظمة الكفر التى يطبقونها على المسلمين، لأن الحزب يرى أنه من الواجب "تطبيق جميع ما

أنزل الله، وأخذ جميع ما جاء به الرسول، ولا يجوز تطبيق بعضها وترك البعض الآخر، كما لا يجوز تطبيقها بالتدرج لأننا ملزمون بجميعها، ويجب أن يكون تطبيقها كاملا ودفعة واحدة".

ويعتبر حزب التحرير أن من أهم الصعوبات التى تواجهه فى التفاعل مع الأمة وتحقيق أهدافه "وجود الواقعيين فى الأمة، وهى تلك الفئة التى تدعو إلى الواقع والرضا بالواقع والتسليم به كأمر حتمى لأنها تتخذ الواقع مصدر تفكيرها وتأخذ منه حلول مشاكلها".

ومع ذلك لا يرى الحزب حمل السلاح ضد الحكام الذين لا يحكمون بالشريعة لأنه يرى أن وجوب إشهار السلاح على الحاكم ومقاتلته إذا أظهر الكفر البواح إنما يكون إذا كانت الدار دار إسلام، وكانت أحكام الإسلام هى المطبقة ثم ظهر من الحاكم الحكم بالكفر البواح.

أما إذا كانت الدار دار كفر وكانت أحكام الإسلام غير موضوعة موضع التطبيق (كما هو الحال الآن حسب رأى الحزب) فان إزالة الحاكم الذى يحكم المسلمين بها تكون عن طريق طلب النصرة إتباعا للرسول صلى الله عليه وسلم فى سيرته لإقامة دولة الإسلام وتطبيق أحكامه.

ومن الواضح حسب آراء بعض منتقدى الحزب أن الحزب حدد مهمته فقط فى نشر الأفكار دون تطبيقها، فتطبيق الأفكار موكول إلى الدولة التى يزمع الحزب إقامتها... من هنا لا يرى الحزب القيام بأى عمل من أعمال الدعوة إلى الصلاة والصيام والاستقامة الخلقية لأن ذلك من مهام الدولة الإسلامية التى لم تقم.

فالحزب يقفز من مرحلة التكوين إلى الخلافة بينما يفتقد مرحلة التربية والعبادة وهو الهدف الذى تفرغ له النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة فى بنائه للمجتمع الجديد.

ولقد أطلنا فى شرح أفكار الحزب لأن أفكاره غير مشهورة فى مصر بسبب قلة أعضائه وضعف نشاطهم بعكس دول أخرى كالأردن وفلسطين وأوروبا التى للحزب فيها نشاط ملحوظ إلى حد كبير.

وكانت وسائل الإعلام فى مصر نسبت حركة الفنية العسكرية خطأ لحزب التحرير.

ولم يظهر أى وجود للحزب فى مصر إلا عندما أعلنت أجهزة الأمن فى مارس ١٩٨٤م عن تقديم ٣٢ شخصا من المنتمين إلى الحزب إلى التحقيق بتهمة محاولة قلب نظام الحكم، ولكن سرعان ما حفظت هذه التحقيقات وأفرج عن

جميع المتهمين، وكان قائد الحزب وقتها هو المهندس علاء الزناتي (ويسمي قائد الحزب في أي دولة باسم الوالي فقائد الحزب في مصر مثلا يسمى والي مصر حسب العرف التنظيمي للحزب).

وفي ٨/ ٥/ ٢٠٠٢م ألقت الأجهزة الأمنية المصرية القبض على ٥٤ عضوا من الحزب - بينهم أربعة بريطانيين - وتم تقديمهم للمحاكمة العسكرية بسبب نشاطهم في إطار الحزب، وصدرت ضدهم أحكام متباينة بالسجن، وكان قائد الحزب في مصر في ذلك الوقت هو الأستاذ أحمد جدامي.

ومن خلال لقاءاتنا بمسؤول الحزب في مصر وعدد من أعضائه يمكننا القول بأن نشاط الحزب في مصر محدود وعدد أعضائه لا يزيد عن مائة عضو على أقصى تقدير.

جماعات التوقف والتبين

ربما ترجع أول نشأة لفكرة التوقف فى الحكم على المسلمين بكفر أو إسلام الى عام ١٩٦٥م فى السجن حيث نشأت مجموعة شكرى مصطفى فى السجن، وقد تم اتهام القطبيين بأنهم تبنوا فكرة التوقف منذ نشأتهم وحتى عام ١٩٨١م عندما قرروا التخلى عنها، وتم الادعاء بأن الفكرة كانت تقوم لدى القطبيين على التوقف عن الحكم للمسلمين المعاصرين بكفر أو إسلام الى أن يتبينوا حقيقة معتقداتهم حسبما قيل لكن هذا نفاه قادة القطبيين كما أنه لا يوجد فى أى من أدبياتهم(٣٤).

وفى منتصف السبعينات ظهرت مجموعات كثيرة مختلفة تتبنى فكرة التوقف لكن أدخلوا عليها تعديلات جوهرية أهمها أن الحد الأدنى للإسلام لم يعد هو عقيدة الإسلام وحسب لكنه صار هو ذلك بالإضافة للانضمام لجماعتهم والسمع والطاعة لأميرها فى كل صغيرة وكبيرة، كما تبنت بعض هذه الجماعات فكرة الانقلاب المسلح لإقامة دولة الإسلام

وسعوا للتسلح والتدرب على السلاح، ولكن حتى منتصف الثمانينيات لم يقوموا بأى عمل مسلح ضد الحكومة أو المجتمع وهم أكثر شبها فى قضية التوقف والتبين بجماعة شكرى مصطفى.

وفى منتصف الثمانينيات من القرن العشرين تخلى الطبيب الشاب مجدى الصفتى عن انتمائه لفكر تنظيم الجهاد وتبنى فكر التوقف والتبين، وسرعان ما كون جماعة خاصة به مزج فيها بين فكر الجهاد في العمل المسلح وبين عقيدة جماعات التوقف والتبين المنتشرة، وقرر أن الطريق الأقصر لنشر فكر التوقف والتبين بين الحركات الإسلامية هو إثبات أن معتنقى هذا الفكر هم أهل جهاد وعمل وليسوا أهل كلام فحسب كما كان يرميهم خصومهم خاصة من تنظيم الجهاد المصرى الذى كان يعتبر أن جماعات التوقف لا هم لها سوى تكفير الناس دون القيام بأى عمل إسلامى فعلى، وهذا الإثبات الذى عزم مجدى الصفتى على القيام به دفعه لتأسيس منظمة جديدة أطلق عليها اسم "الناجون من النار" وضم إليها مجموعة من الأشخاص من معتنقى فكر التوقف والتبين الذين وافقوا على فكرته فى وجوب القيام بتحرك مسلح لإثبات أن فكرهم ليس كلاما فقط وإنما هو كلام وعمل وجهاد أيضا، وكان من بين من

انضموا له في منظمته الجديدة متعاطفون سابقون مع تنظيم الجهاد، وساعد ذلك كله على مضى مجدىّ الصفتى فى طريقه الذى رسمه لنفسه والذى تأثر فيه بانتمائه السابق لتنظيم الجهاد وبحمله بين جنبيه ثأرا سابقا خاصا بمرارات التعذيب الذى تعرض له العديد من قادة وأعضاء تنظيم الجهاد عندما كان يقود وزارة الداخلية كل من اللواء النبوى إسماعيل كوزير واللواء حسن أبو باشا كمدير لجهاز مباحث أمن الدولة ثم كوزير للداخلية، ولذلك قام تنظيم "الناجون من النار" بثلاث عمليات مسلحة حاولوا فى أولاهما اغتيال حسن أبو باشا لكنه نجا بأعجوبة فلم يمت وأصيب بجراح خطيرة، وكانت المحاولة الثانية محاولة اغتيال النبوى إسماعيل، أما محاولتهم الأخيرة فقد كانت من نصيب الكاتب الصحفى مكرم محمد أحمد المقرب من الرئيس المخلوع مبارك حينئذ، وقد نجا مكرم والنبوى إسماعيل دون جراح من هاتين المحاولتين، وكانت كل هذه المحاولات فى صيف ١٩٨٧م.

وبسجن قادة المنظمة وأغلب أعضائها تفككت وانتهى أمرها ولم يعد لها وجود ذا بال رغم استمرار هروب مجدى الصفتى لست سنوات متصلة قبل أن يلقى القبض عليه عام ١٩٩٣م ويسجن مع رفاقه الذين تحول أغلبهم عن فكر التوقف إلى فكر

"السلفية الحركية" وإن ظل مجدى الصفتي على فكره دون تغيير.

ولكن على كل حال فتيار التوقف والتبين ما زال موجودا فى واقع الحركات الإسلامية المعاصرة فى مصر لكنه لا يتبنى العمل المسلح كما كان حاله قبل ظهور "جماعة الناجون من النار"، فضلا عن أن هذا الفكر ظل موجودا وقت ظهور "جماعة الناجون من النار" لأنه لم ينضم لها من حاملى هذا الفكر سوى العشرات فقط، بينما ظل الباقون على حالتهم من تبنى الفكر العقيدى المتشدد دون أن يقرنوه باستخدام السلاح.

والمتبنون لفكر التوقف والتبين في مصر يتراوح عددهم بكافة جماعاتهم ما بين خمسمائة وألف شخص على أقصى تقدير.

الهوامش

(٣٤) قابلت فضيلة الشيخ عبد المجيد الشاذلي عام ٢٠١١م وأجريت معه حوارات مطولة في عدة مقابلات وسألته في أحدها في بيته بالإسكندرية في أكتوبر ٢٠١١ م هل كنتم تتوقفون في الحكم على الناس في أي مرحلة من مراحل حياتكم فأجاب بالنفي والشيخ الشاذلي هو شيخ "جماعة دعوة أهل السنة والجماعة" المشهورة إعلاميا باسم القطبيين وهو منظرهم الأول بعد الأستاذ محمد قطب وهو تلميذ للشهيد سيد قطب.

الشوقيون

شوقي الشيخ شخصية عرفتها وسائل الإعلام فيما عرف بأحداث قرية كحك بمركز أبشواى فى محافظة الفيوم عام ١٩٩٠م، ولم يكن شوقي مجرد مهندس مدني تتلمذ على الشيخ يوسف البدرى فى السبعينات أيام كان يدرس الهندسة فى جامعة حلوان فقد كان لشوقى ميول أخرى اختلفت عن شيخه البدرى، فشوقى الذى تحدر من أسرة كبيرة ومعروفة فى أبشواى قد تعرف على طارق الزمر فى منطقة الهرم وانضم عن طريقه لتنظيم الجهاد، وظل شوقي على ولائه لتنظيم الجهاد حتى بعدما دخل السجن فى سبتمبر ١٩٨١ م وخرج منه بعد اغتيال السادات بشهور عديدة، تردد شوقي فى منتصف الثمانينات على منطقة الهرم لعله يظفر بخيط يوصله مجددا لتنظيم الجهاد لكنه لم ينجح فانضم لتنظيم جهادى آخر عرف فى عام ١٩٨٦م بأنه محاولة لإعادة تأسيس تنظيم الجهاد، لكن التنظيم انكشف للأمن ودخل أقطابه السجن وأصبح شوقي الشيخ نزيلا فى سجن استقبال طرة، وفى السجن

تعرف على بعض دعاة وأقطاب مجموعات التوقف والتبين ودار بينه وبينهم نقاش متكرر نتج عنه أن تخلى شوقى الشيخ عن عقيدة تنظيم الجهاد وتبنى عقيدة جديدة اشتقها هو بنفسه من عقائد مجموعات التوقف والتبين، وهى عبارة عن عقيدتهم كاملة لكنه أدخل عليها تعديلا مفاده أنه ما دام أمر التوقف هذا بدعة فإنه عليه ألا يتوقف بل يبادر بالحكم بكفر من خالف عقيدته دون توقف وبعدها لو اعتنق عقيدته فإنه يدخل الإسلام من جديد.

وفى الواقع فإنه لم يصلنا عبر كتب العقيدة ولا كتب تاريخ وعقائد الفرق الإسلامية فكرة التوقف والتبين كأحد عناصر العقيدة الإسلامية لكنه ليس صحيحا أن عدم التوقف يعنى التكفير حتى نتبين، فالعقيدة الإسلامية الصحيحة ليس فيها التوقف وليس فيها تكفير المخالف لمجرد المخالفة بل لا بد من توفر شروط الكفر وامتناع الموانع التى تمنع تنزيل حكم الكفر على شخص ما وفقا لقواعد العقيدة وأصول الفقه التى يعرفها ويجيدها علماء الدين المتخصصون.

لكن شوقى الشيخ (رحمه الله) لم يكن مستوعبا لهذه المفاهيم الصحيحة فكان تربة خصبة للشطط الفكرى.

ولم تكمن خطورة شوقى الشيخ (رحمه الله) فى شططه

الفكرى فقط بل إن خطورته الأكبر تمثلت في قدرته على التأثير خاصة في مجال الحيز الجغرافي الذى كان يعيش وينشط فيه وهو مركز أبشواى (بمحافظة الفيوم) والقرى المحيطة به، لقد كان شوقى الشيخ زعيما حركيا بامتياز ونجح فى تجنيد ما يزيد على الألف شاب للفكر الجديد فى وقت وجيز جدا فلقد كان شوقى الشيخ أنجح مروج لهذا الفكر.

ولقد مزج شوقى بين فكرة حمل السلاح ضد الحكومة التى تعلمها أيام عضويته لتنظيم الجهاد، وبين فكرة تكفير من يخالف فكره التى تعلمها من جماعات التوقف والتبين، وأدى ذلك لتسلحه هو والعديد من أتباعه وقيامهم بالعديد من الأعمال المسلحة التى سرعان ما أفضت لمواجهة واسعة بينهم وبين الشرطة إثر قتل شوقى الشيخ لخفير نظامى واستيلائه على سلاحه الحكومى.

لقد قتل شوقى الشيخ فى هذه المواجهات فى قرية كحك بأبشواى فى الفيوم عام ١٩٩٠م، وكأن شوقى كان هو صمام الأمان لعنف الشوقيين إذ اندلع بعد موته عنف الشوقيين بأشد ما يكون وزاد من عنفهم أن بعض قادة الجهاد مثل نزيه نصحى راشد قد رأوا أن تسليح الشوقيين بالقنابل اليدوية أمر مفيد لاستنزاف قوة الحكومة وبالتالى فقد أمدوا الشوقيين بكل

القنابل التى استعملوها فى صراعهم المسلح ضد الشرطة طوال الفترة الممتدة من عام ١٩٩٠م وحتى ١٩٩٤م عندما التأم شمل أغلب قادة الشوقيين وأعضائهم داخل السجون ليخرجوا منها مرة أخرى عام ٢٠٠٦م إثر فوز الإخوان المسلمين بـ ٢٠٪ من مقاعد مجلس الشعب المصرى فيما فسره البعض بأنه محاولة حكومية للتقليل من المد الشعبى للإخوان بإطلاق دعوات التكفير التى تدعو لاعتزال المجتمع ومقاطعة الانتخابات على جميع مستوياتها.

وقد ارتكب الشوقيون العديد من الأعمال المسلحة ضد الشرطة والمتعاونين معها ولكن أكثر أعمالهم كانت سطوا مسلحا على محلات ذهب مملوكة لمسيحيين، وكانوا يبيعون الذهب المسروق لتجار مسيحيين أيضا معروفين بتعاملهم فى الذهب المسروق بأقل من ثمنه ثم يشترون به سلاحا كما ينفقون منه على معيشتهم حيث كانوا هاربين من الأجهزة الأمنية ويعيشون متخفين.

وكانت معظم اشتباكاتهم مع الشرطة تحدث عندما تحاصر الشرطة مجموعة منهم وتحاول القبض عليها، واتسمت هذه الاشتباكات بشراسة منقطعة النظير مستخدمين الأسلحة الآلية والقنابل اليدوية.

وباستثناء عمليات مهاجمة محلات الذهب لم يمارس الشوقيون عملا مسلحا مقصودا ومنظما إلا مرتين :

الأولى : كانت اغتيالهم للمقدم أحمد علاء رئيس قسم مكافحة النشاط الدينى بمباحث أمن الدولة فرع الفيوم (١٩٩١م) عندما نصبوا له كمينا أمام مكتبه بالفيوم وأطلق عليه اثنان النار من سلاح آلى فأردوه مضرجا فى دمائه داخل سيارته ولاذ المسلحان بالفرار على دراجة نارية ، وكان المقدم أحمد علاء قد قام بتجريد زوجة أحد قادة الشوقيين من ملابسها وأجبرها على السير شبه عارية عبر شوارع قريتها لأكثر من ساعة بسبب رفضها الإدلاء بمعلومات عن مكان هروب زوجها الهارب .

الحادث الثانى : عندما نصبت مجموعة مسلحة من الشوقيين كمينا على أحد الطرق بالقاهرة لسيارة مأمور سجن استقبال طرة المقدم محمد عوض الذى كان متهما من الإسلاميين بتعذيب معتقلى تنظيم الجهاد ، وقد نجا محمد عوض من الكمين بأعجوبة بينما تهشم زجاج سيارته من سيل الرصاص الذى انهمر عليه ولاذت مجموعة الشوقيين المسلحة بالفرار بسيارتهم البيجو .

وهناك رافد آخر من روافد تيار الشوقيين وهو رافد مهم جدا أسسه رائد الشرطة السابق حلمى هاشم.

لم يلتق حلمى هاشم بشوقى الشيخ رغم أن حلمى كان عضوا فى تنظيم الجهاد قبل اغتيال السادات مثله فى ذلك مثل شوقى الشيخ لكن نظرا لأن حلمى كان ضابط شرطة برتبة رائد قبيل القبض عليه عام ١٩٨٢م فإنه تم تجنيده عبر ضابط جيش كان عضوا فى تنظيم الجهاد هو المقدم عبد الرحمن شحاته وبالتالى لم يكن شوقى وحلمى يعرفان بعضهما البعض.

ظل حلمى هاشم قريبا من فكر الجهاد فى معظم عقد الثمانينات عندما اعتقل فى أواخر الثمانينات والتقى فى السجن بمجموعة من سوهاج تعتنق نفس فكر شوقى الشيخ دون أن تكون على صلة مباشرة به وأقنعت هذه المجموعة حلمى بهذا الفكر، وعندما خرج حلمى من السجن أنشأ مكتبة لبيع الكتب الإسلامية وألف أكثر من عشرة كتيبات صغيرة تشرح أفكاره الجديدة التى ظهر أنها لا تختلف فى شىء مع أفكار شوقى الشيخ وانتشرت هذه الكتيبات فى أوائل التسعينات بشكل كبير وقد وضع عليها اسما حركيا للمؤلف هو "شاكر نعمة الله".

وقد كان لكتب حلمى هاشم ثلاثة آثار مهمة هى :

الأول : انتشار هذا الفكر نسبيا عبر استخدام حلمى لهذه الكتب للدعوة لهذا الفكر من خلال مكتبته الإسلامية التى أسسها لهذا الغرض.

الثانى : أصبح للشوقيين منهج فكرى مكتوب ومنشور بعدما كان فكرهم مجرد دروس شفهية ألقاها شوقى الشيخ وسجلها أتباعه على شرائط كاسيت وكتبوا بعضها بخط اليد، وذلك النشر أعطاهم دفعة معنوية وعملية فى مجال نشر فكرهم والدعوة إليه فى كل مكان.

الثالث : كان لخبرة حلمى هاشم السابقة فى تنظيم الجهاد تأثيرها فى قدرة كتبه على إقناع العديد من أعضاء تنظيم الجهاد بفكر الشوقيين وتحولهم من تنظيم الجهاد إلى تنظيمات جديدة تتبنى فكر الشوقيين بصياغة حلمى هاشم وتتبنى المسلك المسلح كأحد الرواسب التى ورثوها من انتمائهم السابق لتنظيم الجهاد.

و على كل حال فلم ينحصر دور حلمى هاشم فى صياغة ونشر فكر شوقى الشيخ الذى مات دون أن يراه حلمى ولو مرة واحدة، ولكن كان لحلمى بصمة مهمة فى هذا التيار وهو تكوينه مجموعات عديدة تابعة له شخصيا نبذت لفترة

طويلة مسلك حمل السلاح وأقنع حلمى الأجهزة الأمنية بأن منظمته لا تنوى حمل السلاح بعكس منظمة الشوقيين وبالتالى أفسحت الأجهزة الأمنية له مجال الدعوة وامتنعت عن اعتقال أتباعه بل كانت كلما تم اعتقال أحد أتباعه على سبيل الخطأ سرعان ما كانت تفرج عنه بمجرد ثبوت تبعيته لحلمى هاشم، وقد استغل حلمى عنف الشوقيين البالغ الحدة ليوصل للأجهزة الأمنية رسالة مفادها أنه من المهم وجود التيار الذى يمثله كى يحتوى الشباب ويمنعهم من الانضمام للشوقيين وكى يستقطب ما يمكنه من المجموعات التابعة لهم، ولكن سرعان ما انتهى شهر العسل بين حلمى وأجهزة الأمن فى نهايات عام ١٩٩٨م إثر اكتشافها أن عددا من أتباعه لديهم كمية من الأسلحة المتطورة، وحينئذ جرى اعتقال حلمى والعديد من أتباعه دون ارتكاب أى أعمال عنف من قبلهم، وقد ظل حلمى بالسجن لعدة سنوات قبل أن يطلق سراحه، وأتباعه ينشطون للدعوة لفكره على شبكة الإنترنت عبر موقع خاص بهم بالإضافة للمنتديات المختلفة ولكن لم يظهر له ولا لأتباعه أى دور فى الثورة ولا فى الأنشطة السياسية التى اندفع لها أغلب الإسلاميون بعد نجاح الثورة.

وفى الواقع فإن تيار الشوقيين يوجد له ما يناظره فكريا أو على الأقل يشبهه فى بعض الدول خاصة فى دول المغرب العربى وإفريقيا لعدم انتشار العلم الشرعى فى هذه الدول مما يخلق البيئة المناسبة لنشأة و نمو هذا التيار، بينما يندر وجود هذا التيار في دول الجزيرة العربية (دول مجلس التعاون الخليجي واليمن) بسبب انتشار العلماء والعلم الشرعى فى هذه الدول مما يمنع أو يقلل فرص نشأة التيارات ذات نزعات الغلو فى التكفير.

الدعاة المستقلون

ظهر فى الفترة الأخيرة عدد من الدعاة المؤثرين ذوى الشعبية الواسعة ، وساعد على لمعان هؤلاء الدعاة وجود وسائل الاتصال الجديدة كالفضائيات والإنترنت والـ CDs بالإضافة للوسيلة القديمة التى ما زالت فعالة فى مصر وهى شرائط الكاسيت ، واعتبر البعض أن ظهور هؤلاء الدعاة هو ظاهرة جديدة على واقع الحركة الإسلامية الحديثة ، حتى ظن البعض أن ظهور هؤلاء الدعاة مؤذن بزوال الجماعات الإسلامية المختلفة وأن هؤلاء الدعاة الجدد سيسحبون البساط من تحت أقدام الحركة الإسلامية بمختلف فصائلها .

لكن حقائق التاريخ القريب تشير إلى ضحالة هذا الرأى الذى يرى أن الدعاة المستقلين عن الجماعات الإسلامية هم ظاهرة جديدة على الحركة الإسلامية المعاصرة فى مصر ، ذلك لأنه فى الماضى القريب كان الدعاة المستقلون موجودين بشكل بارز ومعتاد فى الساحة المصرية بل إن أشهر خطيب فى العالم الإسلامى فى العصر الحديث هو الشيخ عبد الحميد كشك وقد

كان داعية مستقلا ولم يكن عضوا فى أى جماعة إسلامية ، فوجود دعاة مشهورين مستقلين عن كل الجماعات الإسلامية أمر معروف وهو من ثوابت تاريخ الحركة الإسلامية المصرية فى العصر الحديث لكن الذين يحبون أن يوصفوا بخبراء الحركة الإسلامية دون أن يبذلوا مجهودا كافيا فى دراسة وفهم تاريخ وأفكار الحركة الإسلامية يشيعون آراء غريبة ليس لها أى مستند علمى ليس من أجل شىء سوى أن لا يعلنوا الحقيقة الساطعة وهي أنهم لا يعلمون شيئا ذا بال عن الحركة الإسلامية وإنما يبنون آراءهم على تخيلات بعيدة كل البعد عن الواقع أو الموضوعية العلمية .

لقد شهدت الحركة الإسلامية فى كل مراحلها ظاهرة الدعاة المستقلين عن الجماعات الإسلامية ، وكان كثير منهم عمالقة لا يمكن أن يطاولهم أكثر الدعاة المستقلين الموجودين الآن ، فمن الآن فى مثل حجم الشيخ أحمد المحلاوى الذى ناصب السادات العداء فى السبعينات حتى هاجمه السادات فى خطبه الأخيرة واعتقله ؟

وقد خرج نحو مليون متظاهر فى الإسكندرية محتجين ضد اعتقال الشيخ أحمد المحلاوى فى سبتمبر ١٩٨١م .

ومن الآن من الدعاة المستقلين فى حجم الشيخ العلامة محمد الغزالى ؟

وقد كان أيضا مستقلا عن الجماعات رغم قربه الفكرى من الاخوان المسلمين.

ومن كالشيخ محمد الشعراوى؟

ومن كالشيخ الدكتور عبد الرشيد صقر؟

وحتى على مستوى العالم العربى من الآن كالشيخ محمد ناصر الدين الألبانى، الذى رغم أنه نظر تنظيرات عديدة تبناها السلفيون إلا أنه لم يكن ينتمي لأى جماعة، ومثله الكثيرون.

رحم الله الميتين منهم وحفظ الأحياء منهم.

والشاهد من هذا الكلام كله أن ظاهرة ما يسمى بالدعاة الجدد ما هى إلا ما نسميه نحن بـ "الدعاة المستقلين" وهم دعاة يظهرون فى كل زمان ومكان لا ينتمون للجماعات الإسلامية الموجودة تنظيميا وإن بدا أن بعضهم قريب من هذه الجماعة أو تلك على المستوى الفكرى فقط وليس التنظيمى، ولكن الذى أدى إلى زيادة اشتهار دعاة هذه الأيام المستقلين هو كما قلنا سابقا انتشار وزيادة دور القنوات الفضائية وإفساحها الطريق أمام هؤلاء الدعاة للظهور والانتشار، بالإضافة لشبكة الإنترنت والـ CDs، بجانب شرائط الكاسيت.

فمن ثوابت واقع العمل الإسلامى وجود الجماعات الإسلامية بمختلف تياراتها بجانب العديد من الدعاة المستقلين ذوى الشعبية الكبيرة.

ومن ثوابت واقع هؤلاء الدعاة المستقلين هو قرب كل منهم فكريا فقط وليس تنظيميا بدرجات متفاوتة من هذه الجماعة أو تلك من الجماعات القائمة على الساحة.

وفى الواقع فإن هؤلاء الدعاة المستقلون عددهم أكبر بكثير مما يظن الكثيرون فهم ليسوا فقط المشهورين فى وسائل الإعلام بل يوجد العشرات من الأقل شهرة ممن يشتهرون عبر المساجد وشرائط الكاسيت والإنترنت كما يوجد المئات من المغمورين، ولكل منهم أتباعه ومريدوه كل بقدره.

المحتوى

الحركات الإسلامية فى جوهرها ما هى إلا عمل سياسى واجتماعى إسلامى فى الفضاء العام، يهدف لإحداث تأثيرات إسلامية سياسية واجتماعية وثقافية ودينية فى ذلك الفضاء العام عبر عمل عام له صور وأساليب شتى, وما دام هذا هو جوهر الحركة الإسلامية المعاصرة, فلا شك أنها ليست أمرا جديدا بل هو قديم قدم الرسالة الإسلامية المحمدية نفسها.

يقدم الأستاذ عبد المنعم منيب فى هذا الكتيب استعراضًا موجزًا للحركات الإسلامية المصرية، مبينا تاريخ هذه الحركات، وموضحا التغيرات التي طرأت على أفكارها نتيجة متغيرات خارجية أو تغير فى فكر أعضائها، متوقفا عند موقعها بالسلطة الحاكمة وعلاقتها بها.

www.gocp.gov.eg
www.odabaaelaqaleem.com.eg
www.atlas.gov.eg
www.gocp.gov.eg/Thkafa
www.misrelmahrosa.gov.eg
www.studiesresearch.gov.eg
www.masrahna.gov.eg



جنيه واحد